الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٢٩٤٠

فى هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٤ - الخميس ٢٧ شعبان ١٣٨٤ هـ - ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ م السنة الثانية والعشرون

وحدة الدين فى الوطن العربى

بقلم الدكتور: على عبد الواحد وافى

يعتنق الدين الاسلامى زهاء خمسة وتسعين فى المائة من سكان الوطن العربى ، فهؤلاء جميعا يعبدون الها واحدا ، ويسيرون على هدى رسول واحد ، ويولون وجوههم فى صلاتهم شطر قبلة واحدة ، ويصومون شهرا واحدا ، ويحجون الى بيت واحد ، ويتجه ولاؤهم الروحى الى مقدسات واحدة . ولا يخفى ما لوحدة الدين فى هذا الوطن من أثر فى دعم قومية أهله وتوثيق الروابط التى تربط بعضهم ببعض . وذلك أن اتحادهم فى الدين يجعلهم من الناحية الروحية — وهى أسمى نواحى الانسان وأهم خصائصه — اشبه شيء بصورة متكررة متشابهة قد خرجت من قالب واحد : وهذا هو اقصى ما يمكن أن تحققه عوامل المزج والتقريب بين الجماعات .

ويرجع الفضل فى انتشار الاسلام فى هذه البلاد وقضائه على بعض الأديان التى كانت سائدة فيها من قبل الى ما تمتاز به عقائده وشرائعه من سمو ويسر، واتساق مع المنطق الانسانى السليم ، ومجانبة لمظاهر العنت والحرج، وصلاحية لمختلف البيئات والعصور، وشمول لجميع شئون الحياة ، وديموقراطية فى الحكم ، وحرص على احترام حقوق الانسان ، وتقرير لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة على أكمل وجه . فكان يكفى أن تمتزج الجاليات الاسلامية بأهل بلد ما من البلاد التى افتتحها المسلمون ، وتدعو الى دينها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويقف أهل البلد على أصول هذا الدين الحنيف ، ويشاهدوا ماتضربه هذه الجاليات من مثل عليا فى عباداتها وسلوكها ومعاملات أفرادها بعضهم مع بعض ومعاملاتهم مع غيرهم ، مطبقين فى ذلك تعاليم الاسلام ومبادئه ، حتى يدخل أهل هذا البلد فى دين الله أفواجا عن طواعية واختيار . ولا يقص علينا التاريخ حالة ما قد انتشر فيها الاسلام بقوة السيف أو عن طريق الضغط والاكراه . هذا الى أنه لا يعقل أن يستخدم الاكراه فى شئون العقيدة . فالعقيدة أمر نفسى لا يعرفه غير صاحبه ولا يستطيع أى ضغط خارجى أن يمحوه أو يستبدل به غيره . والاسلام ينهى أشد النهى عن محاولة الاكراه فى الدين ، ويبين عدم جدواه ، ومنافاته لما ينبغى أن تكون عليه الدعوة السليمة . وفى هذا يقول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ؛ ويقول « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! » والاستفهام فى هذه الآية استفهام انكارى أى انه لا ينبغى أن تفعل ذلك ولا يمكن أن ينتهى اكراهك الى ايمان صحيح، ويقول: « انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ؛ ويقول: « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » ويقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

* * *

هذا ، وقد كان المسلمون جميعا أمة واحدة وعلى مذهب واحد . وظلوا كذلك فى عصر الرسول عليه السلام وعصر أبى بكر وعمر وعثمان . ولكنهم بعد مقتل عثمان ونشوب الحروب الأهلية بين على ومعاوية انقسموا الى طوائف يختلف بعضها عن بعض فى أمور كثيرة يرجع أهمها الى أمرين رئيسيين :

أحدهما يتعلق بالشئون الدستورية ونظم الحكم والخلافة . فذهبت طائفة الى ان اختيار الخليفة موكول

الى المسلمين ، وأن الخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعة حرة ، سواء أكان المبايع من قريش أو من غيرهم ، من آل البيت أو من غيرهم • وذهبت طائفة أخرى الى أن الخلافة مقصورة على القرشيين وحدهم • وذهبت طائفة ثالثة الى أنها مقصورة على علي بن أبي طالب وآل البيت وهم نسل فاطمة الزهراء • وذهبت طوائف أخرى في هذا الصدد الى غير ما ذهب اليه هؤلاء جميعا • ـ وأهم ما ينتهي اليه هذا الخلاف هو الحكم على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ،وهل كانت خلافة صحيحة او غير صحيحة•

والآخر يتعلق بالشئون الفقهية التشريعية • فمع أن جميع هذه الطوائف تستمد فقهها وتشريعها من الكتاب والسنة ، فان بعضها يختلف عن بعض في مناهج اجتهادها وطرائق استنباطها الاحكام من هذين الأصلين ومما يتفرع عنهما كالاجماع والقياس•

ومن هذا يتبين أن الخلاف بين طوائف المسلمين أصبح في الوقت الحاضر خلافا تافها لا ينبغي أن يؤدي الى فرقة ولا قطيعة • فالخلاف الدستوري خلاف تاريخي يتعلق بالحكم على أوضاع سياسية قديمة قد مضت ومضى أهلها • والخلاف الفقهي خلاف اجتهادي يرحب به الاسلام ، بل يحث عليه ، ويقرر أن المجتهد مشكور ومثاب على اى حال ، مادام اعتماده على الكتاب والسنة ، وأن كل مذهب مبني على اجتهاد سليم هو مذهب اسلامي صحيح •

غير أن المستعمرين وذوى الأغراض قد استغلوا هذه الخلافات التافهة فاستخدموها في ايقاد نار الفتنة واحداث القطيعة بين طوائف المسلمين ، حتى يتحقق لهم النفوذ والسيطرة على الوطن العربي ، عملا بالمبدأ الروماني القديم ، وهو مبدأ التفرقة بين المسودين لكي تتم السيادة عليهم •

وقد فطن أهل الوطن العربي فيالوقت الحاضر الى هذا الكيد ، وعملوا على احباطه ، فأخذوا يجمعون شملهم ، وتحترم كل طائفة منهم مذاهب الطوائف الأخرى ، بل تقتبس منها بعض احكامها ، وتدرسها في معاهدها ، كما فعلت مصر ، التي يسير المسلمون من سكانها على مذاهب أهل السنة ، اذ اقتبست بعض أحكام الأحوال الشخصية من مذاهب الشيعة وقررت دراسة هذه المذاهب في أكبر جامعة اسلامية من جامعاتها وهي جامعة الأزهر ، وانشئت فيها جماعة للعمل على « التقريب بين المذاهب الاسلامية » •

هذا ، وترجع أهم الطوائف التي بقيت مذاهبها في الوطن العربي الى أربع طوائف ، وهي : طائفة أهل السنة ، وطائفة الشيعة الجعفرية ، وطائفة الشيعة الزيدية ، وطائفة الاباضية •

١ ـ **أما طائفة أهل السنة** فهي أكثر الطوائف اعتدالا في مذاهبها الدستورية والفقهية • ففيما يتعلق بالناحية الدستورية ترى أن الخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعة حرة من المسلمين ، سواء أكان المبايع من آل البيت أم من غيرهم على شرط أن يكون من قريش عند بعض فرق أهل السنة •وبذلك تكون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان خلافة صحيحة في نظر هذه الطائفة • وفيما يتعلق بالناحية الفقهية التشريعية تستمد هذه الطائفة مذاهبها من الكتاب والسنة • وهي اذ ترجع الى السنة يصح لديها الحديث متى توافرت في رواته صفات العدالة والضبط الى آخر السند سواء أكانوا من آل البيت أو من غيرهم •

ومع اتفاق أهل السنة في هذه الأصول العامة ، فانهم قد انقسموا من الناحية الفقهية التشريعية الى عدة مذاهب لكل مذهب منها وجهة نظره في استنباط احكامه وفي تفسيره لآيات الذكر الحكيم وترجيحه لبعض الأحاديث • وقد انقرض كثير من هذه المذاهب ولم يبق لها معتنقون في الوطن العربي ، لأنه لم يتح لها أنصار أقوياء يعملون على نشرها وتسجيل أحكامها في مؤلفات يتداولها الناس ، كمذهب سفيان الثوري ،ومذهب الأوزاعي، ومذهب ابنجرير الطبري ، ومذهب الليث بن سعد ، ومذهب داود الأصفهاني وهو المعروف بالمذهب الظاهري ، لأنه يأخذ بما يرشد اليه ظاهر نصوص الكتاب والسنة • ومع أن هذا المذهب الاخير قد انتصر له فيما بعد العلامة ابن حزم الأندلسي ، وسجل أحكامه في كثير من مؤلفاته وخاصة في كتابه « المحلى » ، (وقد أخذت مصر ببعض أحكامه وخاصة في الوصية الواجبة) ، فانه ليس له متبعون في الوقت الحاضر في الوطن العربي • ولم يبق من مذاهب أهل السنة في البلاد العربية الا أربعة مذاهب ، وهي : مذهب الامام مالك ؛ ومذهب الامام الشافعي ؛ ومذهب الامام

أحمد بن حنبل ، ومذهب الامام أبي حنيفة النعمان ·

ويسير على مذهب الامام مالك معظم سكان المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس وليبيا وصعيد مصر والسودان الشمالى والحجاز · ويسير على مذهب الامام الشافعي معظم أهل القاهرة والوجه البحرى فى مصر وعدن والمحميات (عدا مسقط وعمان وقطر) والكويت والأردن واكراد العراق ونحو نصف سكان اليمن وبعض جماعات فى سوريا ولبنان · ويسير على مذهب الامام أحمد بن حنبل كثير من سكان نجد وما يتاخمها فى المملكة العربية السعودية واهل قطر · ويسير على مذهب الامام ابى حنيفة نحو ثلث سكان العراق وبعض جماعات وأفراد فى سوريا ولبنان والأردن ومصر ·

وتبلغ نسبة المتبعين لمذاهب أهل السنة فى الوطن العربى نحو تسعين فى المائة من مجموع سكانه · فالأغلبية الساحقة من سكان هـذا الوطن على دين واحد ومن طائفة واحدة ·

٢ ـ واما طائفة الشيعة الجعفرية أو الاثنى عشرية فانها تذهب فى الناحية الدستورية الى أن الخلافة الصحيحة هى خلافة اثنى عشر اماما ، وهم على ابن أبى طالب ، فالحسن ، فالحسين ، فعلى زين العابدين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد التقى ، فعلى الهادى ، فمحمد الحسن العسكرى ، فمحمد المهدى · وكل امام من هؤلاء هوابن للامام السابق، ويستحق الخلافة بالوراثة الى أن يصلوا الى الامام الثالث وهو الحسين السبط ، وجميع هؤلاء خلفاء اعتباريون ، اى خلفاء فى نظر الشيعة الجعفرية ،ولم يتولوا الخلافة بالفعل ، ما عدا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فانه قد تولى الخلافة الفعلية بمبايعة معظم المسلمين‌له، واما خلافة ابى بكر وعمر وعثمان فهى فى نظرهم خلافة غير صحيحة ·

وتستمد هذه الطائفة مذهبها فى الامور الفقهية التشريعية من آراء الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ، وخاصة آراء الامام جعفر الصادق ، وهو الامام السادس فى نظرهم ، ومن ثم يسمون الشيعة الجعفرية ، ومذهب الامام جعفر مذهب اسلامى صحيح مستمد من الكتاب والسنة ، وان كانت له اتجاهات فى تفسير بعض آيات الاحكام وترجيح بعض أحاديث الرسول تختلف عن اتجاهات أهل السنة ، وهو يجنح الى ترجيح الاحاديث التى‌يكون رواتها من آل البيت ·

ويسير على مذهب الشيعة الجعفرية نحوثلث سكان العراق وخاصة فى الألوية الواقعة جنوبى‌بغداد وأهل الأحساء فى المملكة العربية السعودية ، وبعض جماعات فى سوريا ولبنان ·

٣ ـ وأما طائفة الشيعة الزيدية فانهم ينسبون الى الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين السبط ،وقد اختلف زيد مع أخيه محمد الباقر فى الناحية الدستورية ، فكان الباقر يرى أن الخلافة تكون بالوراثة فى آل البيت يتلقاها الابن الاكبر عن ابيه ، اما زيد فقد ذهب الى أن الوراثة لا تكفى وان الخلافة الصحيحة هى مايتوافر فى صاحبها ثلاثة شروط : أن يكون من آل البيت من نسل فاطمة ، وان يخرج ويدعو لنفسه ، وان يبايعه المسلمون ·

وتستمد هذه الفرقة مذهبها فى الامور الفقهية التشريعية من آراء الامام زيد نفسه · ومذهب الامام زيد مذهب اسلامى صحيح مستمد من الكتاب والسنة ، ويقرب كثيرا من مذاهب أهل السنة ، وخاصة من مذهب الامام أبى حنيفة ·

ويسير على المذهب الزيدى نحو نصف سكان اليمن ، وكان ائمة اليمن وأنصارهم يلقون فى روع هؤلاء أن الخلافة الاسلامية الصحيحة قد تسلسلت فى آل البيت حتى انتهت الى أسرة حميد الدين ·

٤ ـ وأما طائفة الاباضية فهم اتباع عبد الله بن اباض المتوفى سنة ٨٠ هجرية فى عهد عبد الملك بن مروان ، وتذهب هذه الطائفة فيما يتعلق بالناحية الدستورية الى أن الحكم الشرعى لا بد أن يكون عن طريق الامامة ، وللامام عندهم السلطتان الدينية والدنيوية ، ولا يكون اماما الا اذا بايعه المسلمون ، ولا يشترط فى الامام لديهم أن يكون من آل البيت ولا أن يكون قرشيا ، وانما يشترط أن يكون ورعا عاملا بكتاب الله وسنة رسوله ، ويرون أن الامام الذى ينحرف ينبغى خلعه وتولية غيره ، والامامة

بالوصية والميراث باطلة فى مذهبهم ، فالامام لديهم أشبه برئيس الجمهورية فى نظمنا الحاضرة . ويجوز لديهم تعدد الامامة فى أكثر من مكان ، ويقررون أن عليا كان الامام الحق وان معاوية كان باغيا بخروجه عليه ، ويخطئون عليا فى قبوله التحكيم .

وفيما يتعلق بالناحية الفقهية التشريعية تستمد هذه الفرقة أحكامها من الكتاب والسنة كذلك ، وان كانت لهم طرائق فى الاستنباط تختلف عن طرائق غيرهم ، والمذهب الاباضى مذهب اسلامى صحيح ، ويدرس فى كلية الشريعة بجامعة الازهر ، ويرجع اليه فقهاؤنا فى كثير من الشئون، وهو أحدالمذاهب التى تتضمنها موسوعة الاحكام الشرعية التى يقوم باعدادها مجمع البحوث الاسلامية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ولا يسير على المذهب الاباضى فى الوقت الحاضر من سكان الوطن العربى الا أهل مسقط وعمان وبعض جماعات فى المملكة الليبية وصحراء الجزائر.

***

هذا ، وقد تخلف فى البلاد العربية بعض أقليات لاتزال تعتنق أديانا أخرى غير الاسلام .

ومن هذه الاقليات ثلاث جماعات كبيرة العدد ، وهى : جماعة الاقباط فى مصر ويبلغون زهاء عشرة فى المائة من مجموع السكان ، وهم مسيحيون يتبع معظمهم بطريركية الاسكندرية ، ويسيرون على المذهب الارثوذكسى ، ويتبع قليل منهم احد المذهبين المسيحيين الآخرين وهما المذهب الكاثوليكى والمذهب البروتستانتى ، وسكان السودان الجنوبى ويبلغ تعدادهم نحو مليونين ونصف مليون ومعظمهم يدينون بديانات وثنية وبدائية ، وقليل منهم قد اعتنق المسيحية اعتناقا سطحيا عن طريق المبشرين (وأقل من القليل من دخل منهم فى الاسلام) ، .. ونحو نصف سكان لبنان ، وهم مسيحيون مارونيون يتبعون مذهب يوحنا مارون وهو مذهب لايختلف كثيرا عن المذهب الكاثوليكى .

ومن هذه الأقليات جماعات قليلة العدد مبعثرة هنا وهناك . ففى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والأردن واليمن والعراق بعض جماعات يهودية . وكان عددها كبيرا فى بعض هذه البلاد وخاصة فى المغرب واليمن والعراق . ولكن تناقص عددها الآن لهجرة كثير من أفرادها الى اسرائيل .

وفى سوريا والعراق والأردن بعض جماعات مسيحية ، وفى العراق نحل أخرى غير الاسلام واليهودية والنصرانية تعتنقها جماعات قليلة العدد كنحلة الصابئين (عبدة الكواكب) ونحلة اليزيديين (عبدة الشيطان) .

غير أن وجود هذه الاقليات لاينتقص شيئا من القومية العربية ولا من وحدة الدين نفسها ، وذلك :

١ ــ لضآلة عدد هذه الاقليات اذا قيست بمجموع سكان الوطن العربى ، فاذا ضمت هذه الاقليات بعضها الى بعض فان عددها لايكاد يتجاوز ستة ملايين ، وهذا الرقم ليس شيئا مذكورا بجانب مجموع سكان البلاد العربية الذين يربون على مائة مليون ، فرقم ضئيل كهذا لايمكن أن يكون له أثر ما فى وحدة هذه المجموعة الكبيرة ولا فى وحدة دينها .

٢ ــ ان معظم هذه الاقليات قد تأثرت تأثرا كبيرا بالدين الاسلامى فى ثقافتها وآدابها وتفكيرها وكثير من نظم حياتها ، فعدم اتفاقها مع الاغلبية المسلمة فى العقيدة يعوضه تأثرها بالاسلام فى هذه النواحى الثقافية والاجتماعية الهامة .

٣ ــ أن هذه الاقليات تعيش فى سلام ووئام مع الاغلبية المسلمة ، متمتعة بالحقوق نفسها التى يتمتع بها المسلمون ، بل تنعم فى بعض البلاد العربية بامتيازات خاصة ، وتقضى مبادىء الاسلام بأن تحترم عقائدهم وشرائعهم ومعابدهم، وان تيسر لهم السبل لأداء شعائرهم وعباداتهم ، فهم فى كنف الاسلام وتسامحه لايشعرون بأنهم أقلية ولا يشعر المسلمون نحوهم الا بما يشعر به الاخ نحو أخيه .

دكتور على عبد الواحد وافى

هذه هي القضية

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٦ -

كنت أتوقع أن تبادر صحيفة الاهرام الى البراءة مما نشر فى صفحاتها الادبية ، فى تسعة أسابيع متواليات ، بتوقيع لويس عوض ، وهو الشيء الذى سماه « بحثا » يتناول رسالة الغفران لشيخ المعرة · وأحب أن أجعل الأمر واضحا من جميع نواحيه ·

وقبل كل شيء ، فمنزلة صحيفة الأهرام فى حياة الأمة العربية ثم الأمة الاسلامية ، وهم جميعا نحو ثمانمئة مليون ، منزلة عظيمة جدا ، وعظيمة الأثر فى حياتنا منذ الطفولة ، الى أن نصير رجالا قادرين على النظر والادراك وسياسة الامم · وهذا الأثر يزداد اليوم اتساعا ، وسيزداد على مر السنين يوم تنهار الحواجز التى فرضت علينا فى القرون الأخيرة ، ففصلت بين شعوب العرب وشعوب الاسلام ، وحصرت لغة العرب فى دائرة ضيقة ، فى داخل الشعوب العربية بالجهل وضعف التعليم ، وفى داخل الشعوب الاسلامية بالجهل وضعف التعليم أيضا ، وبالنكبة الكبرى فى محاربة لسان العرب واحلاله فى المحل الثانى أو الثالث أو الرابع ، وكان هو اللسان الأول فيها ، مع احتفاظ كل أمة من هذه الأمم بلغتها الأم فى بعض الأحيان · ولا شك أن ذلك كائن ان شاء الله كما كان ، وعلى العرب اليوم أن يحملوا العبء كله لاعادة ما كان كما كان ، والا لم يكن هناك معنى لدعوتنا الى توحيد العرب أمة واحدة ، وليس لها لغة تسود أرضها ، وتسود الأرض التى تشاركها منذ قرون طوال فى العقيدة ، وكانت أيضا تشاركها اللسان ، وتعده لسانها الأول بلا ضغينة وبلا تململ وبلا انكار · لا بل تعد تاريخ العرب تاريخها قبل كل تاريخ لها ماض أو حاضر ، وتنافح عنه كل المنافحة الى هذا اليوم الذى نحن فيه ، مع ما لحق هذه الشعوب من فساد التكوين السياسى بفعل العدو الماكر المستولى على ثروات الأمم وعقولها وأهوائها بخداعه وغشه وسيطرته الباغية ، ثم باحلال لسانه محل اللسان العربى ، وجعله هو اللسان الأول فيها بوسائل خبيثة جدا ، ليس هذا مكان بيانها ·

وصحيفة الاهرام ، وغير صحيفة الأهرام ، تحمل هذا العبء ، لأنها هى الناطقة بلسان العرب اليوم ، والداعية الى توحيد أمة العرب أمة واحدة · وهذه تبعة يحتاج حاملها الى ترك التساهل فى الصغائر ، فما ظنك بالكبائر ؟ والى الدقة والحذر فى كل حرف ينشر فى الصحيفة ، لأن أثره بليغ ونافذ فى نفوس الآلاف المؤلفة ، فى هذه الرقعة من الأرض المتراحبة الأرجاء ، وهم بين صغير يتلقف ما يلقى اليه بتسليم المتعلم لأستاذه ، وكبير ينظر فيحسن النظر أحيانا ، ويسيء النظر أحيانا أخرى ، فيرضى وينكر ، فيكون لرضاه أثر حسن ينقله الى من يتلقى عنه ، ولسخطه أثر سيء يوحى به الى من يأخذ عنه · والآثار المترتبة على الرضى والسخط لا تقف عند حد ، لأنها تنتهى دائما الى تكوين رأى يتناول أدنى العلائق الانسانية فى حياتنا اليومية ، الى أعلى الروابط فى حياتنا السياسية · وهذا شيء مخوف العواقب مفزع ، لأنا لاندرى أين يقع الرضى وأين يقع السخط ، فى رقعة ممتدة من شمال بعيد الى جنوب قصى ، ومن شرق نازح الى غرب متباعد · ولا ندرى أيضا من الذى يحمل قلبه الرضى ، وما منزلته فى الناس وأثره فيهم ، ومن الذى يطوى جوانحه على سخط ، وما مكانه فى الناس وتأثيره فيهم ؟ ولا ندرى أيضا متى يكون الرضى سببا من أسباب توثيق علائق هذه الملايين بعضها ببعض ؟ ومتى يكون السخط عاملا فى فصم هذه العرى وتمزيق علائقها شيئا بعد شيء · فكل ما يؤدى الى هذه البلبلة المخوفة على هذا المستوى ، ينبغى أن يتوقاه كل حامل تبعة ، وكلنا اليوم حامل تبعة ، فى وقت تحتاج فيه هذه الامة الى اعادة تكوين وحدة شاملة كانت ، ثم مزقتها سياسة عدو شديد العداوة بالمكر والبطش فى القرنين الأخيرين ·

هذه هي النتيجة حيال كبير يحسن النظر أو يسيء . أما الصغير الناشيء ، فالأمر فيه أخطر ، وهو عليه أشد وبالا ، لأنه يتعلق بتكوين نفسه وعقله وارادته وبالمرجو فيه اذا كبر واشتد وصار اهلا للنظر ، وقادرا على التأثير . والصحيفة والمعلم ، كلاهما عوض عن ثدي أمه . فانه يرتضع منهما مادة بنائه العقلي والنفسي ، فاذا تلقى سوء النظر وفساد التفكير ، وخطل الرأي ، فانما يتلقى سموما لايكاد يبرأ من عقابيلها ماعاش . فاذا فوجيء في خلال ذلك التكوين ، وهذا شيء لا مفر منه ، بما يصادم ما تلقاه ، اندلعت في كيانه بلبلة أشد من زلازل الأرض،فلا يكاد ينجو من آثار التدمير الفظيع الذي يورثه اياه الزلزال الاكبر ، هذا مع فقدان القدرة على بناء ما تهدم في نفسه . ثم ينطلق على ذلك فيكبر ويصلب عوده ، ولكنه يبقى بناء متهدما في داخله ، لا يستقيم له رأي ولا نظر ولا ادراك . فاذا تولى أمرا ، فانما يتولاه ليتلفه ويدمره من حيث يدري ولا يدري . وتدور الدائرة

وتسألني : أكل هذا تقوله من جراء تسع مقالات كتبها كاتب عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ؟ فأقول: نعم ،بلا لجلجة ولا ارتياب . وأحب أن أجعل الأمر واضحا مرة أخرى ، وان كان يؤسفني أن يكون الأمر الواقع قد ألجاني الى بيان هذه المبادىء التي تعد من أوائل ما ينبغي ان يعرفه عامة الناس فضلا عن خاصتهم . فالأهرام وغير الأهرام ، اذا ألحق بابا للأدب أو الفن أو الطب أو ما شئت ، فان بديهة العقل تقضي بأن يكون مرادها من ذلك : أن تيسر لأكبر جمهرة من الناس أسباب المشاركة في بعض ذلك ، فيقرؤها الدارس ليجد فيما يقرأ رأيا حسنا ، أو متاعا صالحا ، أو دراسة ربما نفعته ، أو ذكرته ، أو زادته قدرة على تبين وجوه اختلاف الرأي كيف تكون ، ومن أين تنشأ . ثم يقرؤها سائر الناس ليزدادوا معرفة وفهما وحسن ادراك ولتزداد نفوسهم وقلوبهم وعقولهم صقلا وقدرة على التذوق. لان كل حضارة بالغة تفقد دقة التذوق ، تفقد معها أسباب بقائها ، والتذوق ليس قواما للآداب والفنون وحدها ، بل هو أيضا قوام لكل علم وصناعة . على اختلاف بابات ذلك كله وتباين أنواعه وضروبه . وكل حضارة نامية تريد أن تفرض وجودها وتبلغ تمام تكوينها ، اذا لم تستقل بتذوق حساس حاد نافذ ، تختص به وتتفرد ، لم يكن لارادتها في فرض وجودها معنى يعقل ، بل نكاد عند الارادة أن تكون ضربا من التوهم والاحلام لاخير فيه . فحسن التذوق ، يعني سلامة العقل والنفس والقلوب من الآفات ، فهو لب الحضارة وقوامها ، لأنه أيضا قوام الانسان العاقل المدرك الذي تقوم به الحضارة . وهذا شيء لايكاد يختلف عليه اثنان فيما اظن . فاذا اختل هذا الميزان في باب من أبواب الصحيفة ، بطلت الحجة التي من أجلها أنشيء ، وكان الغاؤه خيرا من بقائه وأنفع .

ولكي أزيد الأمر وضوحا وبيانا ، وهذا أمر مؤسف أيضا ، أفترض أن الصحيفة الملحقة بالأهرام مثلا ، صحيفة في طب الأبدان ، فمنزلة الأهرام وثقة الناس بها ، توجب أن تسند أمرها الى طبيب تتوهم أنه قادر على تحرير هذا الباب ، وهذا واضح بلا ريب ، وهذا الطبيب يكتسب من منزلة الاهرام وثقة الناس بها ، منزلة عند الناس وثقة ، فهم يتلقون ما ينشر عندئذ بالتسليم . فاذا جاء هذا الرجل فخلط في الطب تخليطا ينكره اصحاب العلم به ، وجاء الناس بمعلومات غير مستقيمة ولا صحيحة ، تضر بهم في حياطة البدن وعلاجه ، فقد أعانت الأهرام عندئذ على تدمير سلامة أبدان الناس . فاذا جاء من يبين بوجه ما ، فساد ما يأتي به هذا الرجل ، وسوء مغبته على سلامة جماهير الناس ، فواجب الصحيفة عندئذ أن تكف عن ايذاء الناس بما تنشره ، وأن تبرأ مما نشر فيها ، وأن تعلن للناس أن الذي قرأوه لا يعتمد عليه ولا يوثق به ، بلا غضاضة وبلا تحرج . فاذا فعلت علت منزلتها ، وزادت ثقة الناس بها . واذا لم تفعل ، فقد أهدرت الثقة بما تنشر ، وأهدرت منزلتها في الصحف ، وأهدرت أيضا حق القراء الذين وثقوا بها وبما فيها ، ولم تجعل لعقولهم وأبدانهم عندها حرمة . أليس ذلك كذلك ؟ هذه أمور كان من غير اللائق عندي أن أسوقها هذا السياق ، لولا الاضطرار !!

وأدع ضرب الأمثلة ، لأنه عندي غير لائق هنا لولا الضرورة ، وأنصرف الى قضية لويس عوض وما كتبه عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، تاركا ذكر مقالاته الثلاث الاولى من المقالات التسع ، فانما هي لجاجة مضنية من حيث هي دراسة أدبية ،يعرف ذلك من يعرفه ، ويجهله من يجهله ! ولقد بينت في سياق المقالات الخمس السالفة في مجلة الرسالة ،

أن هذا الرجل أراد أن يوهم الناس بانه استاذ جامعي يدرس أثرا أدبيا . فباللقب الذي يحمله ، ولا أدري كيف جاءه ؛ وبالثقة التي منحتها اياه صحيفة الأهرام ؛ وبالثقة التي يحملها القارىء لهذه الصحيفة ؛ استطاع أن يدخل هذه الدراسة وعليه طيلسان أستاذ جامعي ؛ وان كان هذا الطيلسان عندي في الحقيقة ، كلباس الفرزدق حين جاء للقاء جرير في الديبـاج والخز ، وجاء جرير في لباس المحارب متقلدا سيفه وفي كفه الرمح ، فوصف ذلك جرير فقال

لبست سلاحي ، والفرزدق لعبة
عليه وشـاحا كرج وجلاجله

(والكرج ، بضم الكاف وفتح الراء المشددة ، دمية يلهو بها الصبيان ، تزين بالوشي ، وتعلق عليها الجلاجل والأجراس) . ومع ذلك فقد رضيت كارها أن أعامله معاملة أستاذ جامعي ، لا لشيء الا لأثبت أنه غير مستحق لهذه الصفة بوجه من الوجوه ، فلم أتعلق في بحثي بصغير أو كبير ليس له مدخل في منهج الدراسة الادبية ، معرضا عن امور كثيرة حبست القلم عن اثارتها في هذا الموضع . فمن اجل ذلك سلكت طريق البيان ، فبينت للناس ولصحيفة الاهرام أن هذا الرجل الذي طلع علينا في طيلسان وجلاجل ، قد ادعى منهجا كمناهج الاساتذة الجامعيين ، سلكه في دراسة رسالة الغفران وتاريخ شيخ المعرة ، فحاكمته الى أوائل ما يعرف الطلاب الصغار عن المنهج ، فاتضح انه يجهل منهج الدراسات الادبية جهلا تاما ، وكان هذا حسبي وحسب صحيفة الاهرام .

ولكني لم اقنع بذلك حتى أبريء ذمتي ،فكشفت عن أكبر خطيئة لاتغتفر لطالب صغير مبتدىء ، وهي العجلة في قراءة النصوص ، فاثبت أنه نقل نصا من كتاب واحد هو كتاب الدكتور طه حسين . ولم يقراه قط في غير هذا الكتاب . ومع ذلك فهو انما قرأ أسطرا كالملهوف وترك ما بعدها من الأسطر ، وهي التي فيها نقد الدكتور طه لهذا النص نفسه . وكان من الفتانة والادعاء أنه استخرج من هذا النص الفاسد المستحيل المعنى ، احكاما القاها للناس كأنها حقيقة مفروغ منها . وهذا غش فاضح وعبث. وكان هذا حسبي وحسب صحيفة الأهرام.

ولكني لم اقنع بذلك ، فابرات ذمتي أيضا ببرهان قاطع على أن هذا الرجل ، قد ادعى في كلامه انه قرأ كتبا باعيانها ، وهو في الحقيقة خطاف جريء، يتكيء على كتاب الدكتور طه وحده بلا بصر ولافهم. فمن اجل ذلك اخذته بادعائه ومخرقته ، حتى أكشف للناس أنه لم يقرأ شيئا قط مما ذكر من الكتب ، ولا رآها ، ولا عرف ما هي ، ولا من أصحابها . وصدقته في ادعائه الكاذب ، ليكون ذلك أشنع له ، لأنه يكون عندئذ قد قرأ نصا لم يعرف معناه ، ولم يعرف كيف يدرسه دراسة طالب جامعي مبتدىء ضعيف . وكان هذا أيضا حسبي وحسب صحيفة الاهرام .

ولكني لم أقنع بذلك ، فابرأت ذمتي مرة ثالثة ، بالدلالة الحاسمة على ان هذا الذي كتب ما كتب عن شيخ المعرة ، لم يقرأ شيئا قط من آثار شيخ المعرة، وبخاصة شعر سقط الزند ، وهو الشعر الذي يتعلق بالخبر الذي ادعى متنفخا انه قراه ووقف على نصه في غير كتاب الدكتور طه ، واذا سلمنا أنه قراه ، فهو لم يفهم اذن منه حرفا واحدا على وجه يليق بمبتدىء جامعي . وكان هذا حسبي وحسب صحيفة الاهرام .

ولكني لم اقنع بذلك حتى أبرأت ذمتي مرة رابعة ، وذلك حيث زعم بمخرقته أنه جاء يعرف الناس بحقيقة شيخ المعرة وحقيقة تاريخه ، فذكر أكاذيب واوهاما لاأصل لها الا في خيالاته وسماديره ، فكشفت بلاريبة عن أن هذا المدعى لم يقرأ قط كتابا واحدا في ترجمة شيخ المعرة ، ومع ذلك فهو ياتي بلا خجل ولاحياء فيذكر كذبا صراحا مناقضا للمعقول من حياة الشيخ ،ومن حياة أسرته، ومن حياة أمته التي عاش فيها . وكان هذا حسبي وحسب صحيفة الاهرام .

ولكني لم اقنع حتى أبرأت ذمتي مرة خامسة ، بدلائل قاطعة على أن هذا الرجل الذي يدارس نصا عربيا من أعظم النصوص ، لا يملك اى احساس أدبي ، باى نص يقرؤه ، ولو ظل يكتب في الأدب عشرات المجلدات . وكان هذا حسبي وحسب صحيفة الاهرام .

ولكني لم أقنع بذلك ، حتى أبرأت ذمتي مرة سادسة ، فبينت جهل هذا الرجل وادعاءه ببرهان فاصل من نص كلامه هو في صفة نفسه ، اذ قال : « ان احساس لويس عوض باللغة ضعيف جدا ، وأجنبي جدا » ، ومع ذلك فهو يعمد الى النصوص

الادبية فى لغة العرب فيدرسها بمخرقة شنيعة ، وبلا حياء ٠ ولا يقنع بهذا ، بل ينتهى به ما أطبق عليه من الهوس والجرأة ، فيعمد الى آية من القرآن العظيم ، فيفسرها بغباوة وجهل راسخ ، ثم لايستحى فيدعى نسبة ذلك الى كتب المفسرين المسلمين ، موهما أنه قد قرأها وأثبتها معرفة ، بلا ظل من حياء يردع ، أو عقل يكف ٠ ولا يقنع بهذا فيأتى بكلام لايفهم ، ويزعم أن الرجل الذى يدرسه قد جاء فى شعره بألفاظ هذه الآية ، بالمعنى الذى فسره هو !!

ولتعلم صحيفة الاهرام أن هذا البلاء كله ، استخرجته من أقل من عمود واحد من اثنين وسبعين عمودا نشرها فى تسعة أعداد من صحيفتها الادبية، وانى التزمت فيه غاية الحذر حتى لاأخرج عن حد الدراسة الادبية ، أفليس هذا كافيا فى أن يحمل صحيفة الاهرام على البراءة من هذا العبث بالأدب ، وعن هذه المخرقة باسم الدراسة الادبية ، وعن هذه (اللغوصة) فى اللغة والبيان ، وهما أشرف ما أوتى الانسان ؟ واذا لم تفعل ذلك احتراما لمنزلتها عند الناس ، ألم يكن حقا عليها أن تفعله من أجل قرائها ، الذين خدعهم هذا الرجل باللقب الذى يحمله ، وبمعونة صحيفة الأهرام حين اختارته مستشارا ثقافيا لمؤسساتها ، ورفعته من مغمور مجهول لايبالى به أحد ، الى شهرة تسرى حيث سارت صحيفة الاهرام ؟ أليس من حق القراء عليها أن تحميهم من هذا التضليل المؤذى ؟

وليت أمر الرجل قد اقتصر على هذا الفساد فى الدراسة الادبية المجردة ، بل أبنت أيضا فى خلال كلامى أن الرجل مضطرب الذهن جدا ، اما خلقة وأما داء حادثا أو هما معا ، يدل على ذلك صريح كلامه الذى اختلط وتداخل وترنح ، بلا رباط من منطق سوى ، فهل كان من حق صحيفة الاهرام على الناس أن تنشر عليهم هذا السيل الضار من الوباء، بلا رحمة بالصغير الناشىء الذى يخدعه اللقب ، وتسرع فى اصابته بالعدوى ثقته باسم صحيفة الاهرام ومنزلتها فى كل بيت ، حيث تدخل عليه مع الافطار ، كأنها جزء من غذاء الناس ؟ أكل من حمل قلما بقرش صاغ ، وأوتى لسانا طويلا بلا عقل ، قادر أن يجعل صحيفة الادب موضعا لاذاعة آرائه بلا حسيب ولا رقيب ، ويصبح بذلك كاتبا مرموقا ، مادام موظفا بشكل ما ، فى صحيفة الأهرام ؟

واذا كانت سلامة عقول الناس لاقيمة لها ، أفتاريخ الامة ، وتاريخ رجالهالاقيمة له أيضا ، حتى يتمكن هذا الرجل من الدخول الى تاريخ الامة العربية المسلمة فى القرن الرابع ، فيلعب فيه لعب الاطفال العابثين غير المسئولين ، لكى يجعل للصليبية الغلبة على ديار أهل الاسلام ، ويجعل لعقائدها السيادة على عقائد أمة كاملة ، ويستعمل فى خلال ذلك ألفاظا تنم عن الغطرسة وسوء الخلق ، ويحكم علينا منذ القرن الرابع بأننا نعيش تحت بطش بيزنطة العسكرى وتحت الخوف منها والرعب، ويأتى فى خلال ذلك بأكاذيب مستشنعة ، لامصدر لها الا الحقد الكامن على حضارة العرب ، مما سأتولى بيانه فيما بعد ، وان كان ظاهرا لاشك فيه لكل قارىء مبتدىء ، فضلا عن عاقل بالغ ؟ أهو شىء هين، أن يأتى هذا الدعى فيزعم أن الاسلام ، هكذا بغير حرج ولا حياء ، قد ارتعدت فرائصه من «مانيفستو» الباسيل فوكاس الرومى ! فخرست الألسنة فى العالم الاسلامى ، الا لسان فقيه بطشقند يقال له « القفال » ؟ أفى الدنيا انسان يعقل هو أصلب من هذا الجرىء الجاهل وجها ؟ أبهذا التحقير الكامل لتاريخ أمة ، وبهذا التنكير البشع لأئمة الاسلام الأفذاذ ، كما فعل بالقفال ، وبالاشادة بمجهول مغمور لا يعرف عنه شىء كأبى الفرج الزهرجى ،اذ يجعله من قادة المثقفين وأعيانهم ، يتثقف الفتى العربى المسلم الناشىء ، وغير العربى وغير المسلم ، عن طريق صحيفة الادب فى الاهرام ؟ (وقد بين ذلك بعض الادباء فى مجلة الرسالة ، وسنستوفيه فيما بعد) ٠

واحب أن أعلم صحيفة الأهرام أن لويس عوض لاقيمة له عندى من حيث هو كاتب ، والقيمة كلها لها هى ، واذن فبأى حق تنشر صحيفة الاهرام عبث عابث لا يحسن شيئا ، يتناول بعبثه لغة العرب ، وكتاب الله ، وهو لايفهم منهما حرفا واحدا ، ثم يعمد الى آية من آيات الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهى الاسراء والمعراج ، فينطلق يخبط خبطا شنيعا ، ويأتى بسخف لايدرى أحد من أين جاء به ، وهو فى خلال ذلك يرسل جملا مضطربة كأنها عربدة مخمور ، بلا رعاية لحق ثمانمئة مليون من البشر ، وبلا حذر من أن يهيج أحدا الى مالاتحمد عقباه ؟ بأى حق تفعل ذلك صحيفة الأهرام ؟ بحق أن لويس عوض ، قد عين فيها مستشارا ثقافيا !! ان للويس عوض أن يلعب كما يشاء ، وأن يقول

ما يشاء ، وان يكتب ما يشاء ؛ وان يعتقد ما يشاء ؛ فنحن لانبالى به ؛ ولكن ليس له أن ينشر ذلك فى صحيفة الاهرام ، لأن الأمر يخرج عندئذ من حد حريته الخاصة ، الى العدوان المخوف العواقب على عقائد الناس وآدابهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم ، وليس من حق صحيفة الاهرام أن تضمن له هـذا العدوان ، بحق اكتسبه عن طريق وظيفته فيها ، وليس من حقها أن تشوه معارف الناس وعلومهم وتاريخهم ، بفعل انسان مشوه القلم والعقـل ، وتطرح هذا الخبث على الناس باسم حرية الرأى . لان حرية الرأى مكفولة لذوى العقول السليمة ، لا لكل من كسر القيد وأفلت من وراء الاسوار .

ولكى ازيد هذا الامر كله وضوحا ، وسازيده من كل وجه وضوحا فى المقالات التالية ، اتتبع لهـا تاريخ لويس عوض ، لا من الاخبار التى اعرفهـا عنه ، بل من لسانه هو ، وأكشف لهـا أنه اتخذ صحيفة الاهرام بهذا المنصب الذى اسند اليه ، وسيلة يبلغ بها مآربه بطرق غير قويمة ، واستغفر الله ، بل ليبلغ بها مآرب قوم قد استخدموه لغايات على جانب عظيم جدا من الخطر على مستقبل هـذه الأمم . ولكن ينبغى أن تعلم قبـل كل شىء أن لويس عوض ظل مغمورا غير معروف الى أن دخـل صحيفة الاهرام ، وتولى الاشراف على الثقافة فيها ، وتولى تحرير صحيفة الادب والفن ، فمن الاهـرام وحدها جاءته الشهرة ، وذلك أنه منذ نال اجازة الليسانس من جامعة القـاهرة سنة ١٩٣٧ ، متخصصا فى اللغة الانجليزية ، ثم أوفده أساتذته الانجليز يومئذ الى جامعة كمبردج وعاد بالماجستير سنة ١٩٤٠ ، بقى مدرسا بالجامعة الى سنة ١٩٥٤ ، لا يعرفه أحد سوى تلامذته الذين يروون عنه شيئا كثيرا لااريد أن أذكره . وفى خلال هـذه الفترة ، نكبت مصر بمجلة صدرت بأموال يهـودية ، خدع فيها كثير من الناس ، كان مرادها أن تستولى على مصدر الثقافة فى بلاد العرب ، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها قبل غزو فلسطين العربية فى سنة ١٩٤٨ ، وهذه المجلة هى التى يسميها لويس عوض بعد موتها بسنين (سنة ١٩٥٤) « المجلة الزهراء، الكاتب المصرى » ، وذلك بعد أن انكشـف أمرها للناس . ففى سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ جره الى هـذه المجلة أستاذه الروحى كما يسميه ، سلامة موسى ، فكتب خمس مقالات ، أو نحوها عن أدباء الانجليز كاسكار وايلد ، واليوت ، وشو ، وهى على ضعفها

وعلى سقم الترجمة فيها ، وعلى ما فيهـا من الخطف الجرىء من الكتب ، كانت لاتعد شيئا يذكر .

ولكن يظهر أن سلامة موسى ، ظل ينفـخ فى تلميذه حتى انفجر فى سنة ١٩٤٧ عن كتاب طبعه سماه « بلوتولاند ، وقصائد أخرى ، من شـعر الخاصة » !! مع أنه يقول فى ترجمته التى كتبهـا لنفسه بقلمه : « فمن أجل هؤلاء ، قال لويس عوض الشعر ، وهو ليس بشاعر ، وهو يعد بان لايكرر هذه الغلطة ، ولو نفى الى بلاد الخيال » ويقـول ايضا : « وما من شك فى أن شـعر لويس عوض شعر ركيك » . ومع ذلك ، فقد سماه « من شعر الخاصة » . وبالطبع هذا كلام انسان عاقل ، غاية فى العقل لاتلحق ! أليس كذلك . وما علينـا ! فالمهم أنه فى هذه الترجمة قد حدد اتجاهه تحديدا واضحا ، فمنذ الصفحة الاولى بدا فقال : « حطموا عمود الشعر لقد مات الشـعر العربى ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت احمد شـوقى . مات ميتة الأبد . مات » ، صرخات مفلت من الاسوار بلا شك، وفى قلبه حقد دفين أهوج ، ويظل يذم الشـعر العربى ، ويهزأ بلغة العرب ، ويعـرض بالقرآن كل بضعة أسطر ، فيسمى اللغة العربية : « اللغة القرشية » ، ويفضل على كل ما قاله الشعراء العرب المصريون (الذين سماهم « المستعربين ») : « منذ الفتح العربى عام ٦٤٠ ، الى الفتح الانجليزى عام ١٨٨٢ » قول من قال « ورمش عين الحبيب ، يفرش على فدان » (هل فى الدنيا أسخف من هذا العاقل؟ لا أظن) . ثم يظل يضرب يمينا وشمالا بلا وعى ، وبسوء خلق ، بالفاظ مهتاجة غير مترابطة ، كانه محموم لم يفق من برسـام الحمى ، حتى يفضى الى شىء سماه تجارب لويس عوض ، وسانقل هنـا التجربة الاولى بنصها ، مع اختصار قليل غير مخل ان شاء الله ، وان كان الكلام كله خلل !! ، وهى تجربته فى مسالة اللغة العامية :

« كان لويس عوض عام ١٩٣٧ يتعلم مبـادىء اللغة الايطالية (وقد وقف عند المبادىء) بين الحشائش السـحرية التى تمـلا الفـلاة بين كامبريدج وجرانشستر ، واسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ، ولهجتها المنحطة الايطالية ، أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ، ولهجتهـا المنحطة المصرية، من حيث المورفولوجيا والفونوطيقا والنحـو والصرف !! فعجب لاصرار المصريين على اللغة المقدسة ! وكان يحدث أصدقاءه بخلاصـة

تفكيره ، فوجد منهم اعراضا رقيقا مؤدبا فعجب .. فلما عاد الى مصر عام ١٩٤٠ ، جاهر برايه ، فلم يصادف اعراضا ، وانما صادف غلظة ... فازداد عجبه ، ولكن سرعان ما أفهمه بعض أصدقائه أن المسألة حساسة لأنها تتصل بالدين راسا (يعني ان لويس ظل ثلاث سنوات لم يخطر له هذا الامر ببال !! ما أكذبك أيها الفتى !) لأن استخدام اللغة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن أو قرنين بترجمة القرآن الى اللغة المصرية ، (بهذه البساطة) كما حدث للانجيل ان ترجم من اللغة اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة . فزال عجبه .. (شيء عجيب !!) » .

وبمهارة أمثاله من الأذكياء ، كسلامة موسى مثلا ولويس عوض نسخة منقحة منه (كما سنرى) انتقل فجاة دون أن يفتينا فتوى صريحة في جواز ترجمة القرآن الى العامية المصرية !! فقال بعد ذلك مباشرة: « وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقا ، فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوي لم يقوض أركان الدين في اوربا ، وانما قوض أركان الكنيسة التي خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشاوة ، (وبالطبع نحن نقرا القرآن بلغة لانفهمها !!) ، ويدرك أن رجال الدين انما يزيفون عليه من عندهم دينا (وكذلك أهل الاسلام بالطبع !) ، ليسلس قياده ويبقى راكعا أمام الاشراف ، وهو يفهم (أي لويس عوض يفهم!) ان أبسط بنت تبيع الكرافتات في شيكوربل ، تعرف عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا الذي شن الحروب الصليبية ، أو البابا الذي أعدم الاحرار على الخازوق ، أو البابا الذي كان يضاجع أخته ، أو البابا الذي أحرق جيوردانو برونو ، حيا ، لأنه قال ان الأرض في ركن مهمل من الكون ، أو البابا الذي كان يبيع المؤمنين مربعات وقصورا في الجنة ، او البابا الذي أهدر دم مارتن لوثر لأنه طالب بالغاء القسيس ، وازالة كل حاجز أو وسيط بين الله والناس » . وظاهر الى هنا أنه يريد ان يفتي فتوى على استحياء ، فضرب هذه الأمثلة كلها، لان أهل الاسلام كانوا كمثل من ذكر ، الى أن جاء لويس عوض ، فباخلاص وعظنا أن نسلك هذا المسلك ، فنترجم القرآن الى العامية ، لننجو بديننا من غش رجال الدين منذ عهد الأئمة الى اليوم !

وبمهارة الأذكياء ذوي العقول الراجحة ، يقول بعد ذلك مباشرة : « وهو يفهم كذلك (أي لويس عوض !) ، أن الاعتراف باللغة المصرية ، لايتبعه بالضرورة موت اللغة العربية ، اذا احتاط الناس لذلك (وأكبر احتياط هو وجود لويس عوض بالطبع !) ، فليس هناك ما يمنع من قيام الأدبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربي وقدرتهما على الحياة (ياسلام، ما أعقلك !!) ولكن لويس عوض رغم كل ذلك (ما هو « كل ذلك » !) قد سكت مؤثرا أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لامجال للطعن في نزاهته » . يعني ان لويس عوض ، سيظل هو الداعية ، ويدع المسلمين يتكلمون بلسانه ، أليس كذلك ؟

ثم يختم هذه التجربة بتصريح غريب جدا ، أرجو ان يقرأه القارىء بدقة ، لأن وراءه معاني لا تخفى على من يعرف تاريخ الدعوة الى العامية ، فيقول بعد ذلك مباشرة : « واني لأعلم أنه قد عاهد الثلوج الغزيرة المنثورة على حديقة مدسمر ، في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج، الا يخط كلمة واحدة الا باللغة المصرية (يعني العامية) ، وقد بر بعهده في العام الاول بعدعودته، فكتب شيئا بالمصرية سماه « مذكرات طالب بعثة » ، ولكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد . فلتغفر له الثلوج الطاهرة التي لم تدنسها حتى أقدام البشر » !! (انتهت التجربة) وتسأل نفسك : ما هذه « الخلوة المشهودة » التي عاد الى ذكرها ، بعد ان ذكر أنه عاد الى مصر ؟ وما الداعي كان يومئذ الى هذه الحرارة في العهد ؟ أهي حرارة تعاهد بها ثلوج باردة ، أم شيء آخر كان في « الخلوة المشهودة » ؟ وما هذا الاستغفار الضارع من ذنب موبق ؟؟ أكتابته بالعربية الركيكة التي وصفها هو نفسه ، تستدعي كل هذه الضراعة في التوبة !!

من هو لويس عوض هذا ؟ ومن شهد خلوته تلك ؟ وأي متتبع لتاريخ الحركة الداعية الى استقلال كل بلد عربي بلغته العامية ، في الوقت الذي كانت تحارب فيه اللغة العربية في كل بلد مسلم غير عربي ، يعرف أن هذا الكاذب المخادع الذي ادعى أن تعلمه للايطالية ، (ولم يكن عرف منها غير المبادىء) ، قد استرعى انتباهه الى أن البعد بين اللاتينية المقدسة ، ولهجتها الايطالية المنحطة ، أقل من البعد بين العربية المقدسة (!!) ولهجتها المصرية المنحطة = انما يقص قصة مختلقة ، لانه قبل أن يولد هو على هذه الارض البائسة ، كان

الاهتمام بهذا الرأى ونشره قائما على قدم وساق فى جميع الامم الاوربية التى غزت بلاد العرب والمسلمين فى كل مكان ، وأقرب ذلك عهدا تقرير لنـدبرج الاسوجى فى مجمع اللغويين فى ليدن سنة ١٨٨٣، وتقرير دوفرين اللورد الانجليزى المحترق ، الذى رفعه الى وزارة الخارجية البريطانية فى شأن اللهجة العامية المصرية ، وامين دار الكتب الألمانى بمصر ، وويلمور القاضى الانجليزى بالمحكمة المختلطـة ، ومترجم الانجيل الى العـامية لأقباط مصر ، وليم ولككس ، المهندس المبشر الذى كان مقيما بمصر ، والذى وصفه التالف القديم سـلامة موسى ، فى كتابه الذى ملأه بذاءة على العرب والمسلمين ، سماه « اليوم والغد » قال : « والهم الكبير الذى يشغل بال السيرولككس بل يقلقه ، هو هـذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها ، فهـو يرغب فى أن نهجرها ونعود الى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها ، وندون بها آدابنا وعلومنا » . فهذه الدعـوة كانت قائمة فى انجلترا فى الجامعات التى تدرس المشرقيات ، وفى مراكز التبشير ، قبل أن يولد هذا الداعية الجديد ، وهو بلا شك لم يفكر ، ولم ينتبه الا بمنبه شـديد فى جامعة كمبردج أو أحد مراكز التبشير هناك ، وأخذ العهد والميثاق على نفسه أن يكون داعية ، فى هذه الحرب الخالصة لوجه السيادة الاوربيـة على بلاد العرب والاسلام .

وكأنهم اختاروه ليـكون بديلا من ذلك المتسرع الجرىء السليط اللسان سـلامة موسى ، أيام كان شابا مندفعا يقول منذ ثمان وثلاثين سنة فى كتابه « اليوم والغـد » : « ينبغى أن لايغرس فى أذهان المصرى (كذا) أنه شرقى ، فانه لايلبث أن ينشـأ على احترام الشرق وكراهة الغرب ، وينمـو فى كبرياء شرقى ، ويحس بكرامة لايطيق أن يجرحها أحد الغربيين بكلمة » ثم يقول بلا عقل : « الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينيـة وقاحة ، والرابطة الحقيقية هى رابطتنـا بأوربا » ، وقائل هذا هو الاستاذ الروحى للويس عوض ، كما قال هو بلسانه ! وانا أدع للقارىء تأمل حقيقة هـذا الاستاذ الروحى للويس عوض ، وأى داعية هو الى الذل والمهانة والخضوع ، لأوربا المستعمرة المتعصبة الخالية من كل أدب فى معاملة أهل الشرق عـامة والعرب والمسلمين منهم خاصة ، الى هذا اليوم الذى نحن فيه .

فاذا عرفت هـذا ، بلا اطالة ، وعرفت لويس عوض الذى قال بنفسه فى تقديم نفسه سنة ١٩٥٤ انه « عرف بدعوته للأدب العامى فى صدر حياته الأدبية » ، ورأيته منذ دخل صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه ، وتجمع له بعض المراكز الثقافيـة القائمة فى مصر ، والتابعة مباشرة لمراكز التبشير العالمى من يصـلح لأن يكون معبرا عن رأى لويس عوض ، ويكون متسما بالنزاهة ولا مطعـن فى نزاهته من المصريين المسلمين الذى خدعوا بشكل ما ، بما يسمى كسر عمـود الشعر العربى ، وباستعمال اللغة العامية والدعوة الى احلالها محل الفصحى ، ثم من يجتمع حوله ممن يحقر شـأن العرب وتاريخهم وثقـافتهم ودينهم ، ويزدرى كل ذلك ازدراء ظاهرا ، ويعد الثقافات الاوربية كلهاهى المصدر الذى ينبغى أن نستقى منه مادة تكويننـا الحديث بلا تردد أو تمحيص = اذا عرفت هـذا عرفت لماذا لبس هذا المحترق طيلسان أستاذ جامعى، تاركا الأدب الانجليزى وراءه ، وعامدا الى التاريخ العـربى والأدب العربى ، ليقرن ابن خلـدون باورسيوس ويجعله منه آخذ ، والمعرى براهب دير الفاروس ويجعله على يديه تعلم ،والى القرآن ليجعله اسـتمد ما فيه من صفة الجنة والنـار من خطرفة اليونان ، والى زعماء الكفاح فى سبيل الحرية منذ غزو نابليون الى أن جاء جمال عبد الناصر ، ليجعلهم مقتدين بالمعلم يعقوب ، الذى ظاهر الفرنسيس على اذلال الشعب العربى فى مصر ، وادعى لويس عوض أنه معبر عن ارادتنا فى تحقيق استقلال البلاد ، وسائر المخرقات التى يكتبها عن تفسير آثار الأدباء المصريين وغيرهم ، كتوفيق الحـكيم ، ونجيب محفوظ ، وصلاح عبد الصبور .

واذا عرفت هذا ، عرفت لم امتلأت صـحيفة الأهرام ، منذ عين هذا الرجل مستشارا ثقافيا فى مؤسستها بالهجوم اللاذع فى أبواب كثيرة تخضع للمستشار الثقافى ، على اللغة العربية الفصحى التى كسر هو رقبتها ، وعلى الشعر العربى الذى كسر هو عموده ، وعلى كل تراثنا الذى نحن به عرب لنا ماض عشناه ، ولا نزال نعيشه ، وسوف نعيشه ، برغم هذا المحترق الذى اسـتخدم كل أداة فى هـذه الحرب ، من كلمة مكتوبة ، الى صورة مرسومة ، وبنفس الأسلوب الخفى الذى يعمل به أشـباهه وامثاله فى سائر الميادين .

وإذا عرفت هذا ، عرفت لم جاءت هذه الحملات المختلفة الأشكال والأنواع ، ولم اتخذت صورا متباينة فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى ، بعد أن اتضح لهم أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن ينقذ كرامة العرب بدعوته الى وحدة العرب ، ووقوفه فى وجه كل ارهاب أوربى متغطرس بالغزو أحيانا ،وبالحصار الاقتصادى أحيانا أخرى ، وبغير هذه الوسائل الظاهرة البادية للعيان ، فلم يبق أمام هؤلاء الا ميدان واحد ، هو بلبلة العقل العربى وتشكيكه فى نفسه ، والا تحطيم الرابطة الأولى والأخيرة فى حياة العرب ، وهى اللغة بتمزيقها الى لغات ، والى تدمير الجسر الذى عاش أربعة عشر قرنا يجمع قلوب الامم الممتدة من الشمال البعيد الى الجنوب القصى ، ومن الشرق النازح الى الغرب المتباعد ، على كلمة واحدة ، وعاطفة واحدة ، ورأى عام واحد ، مع شدة بطش العدو الماكر الخبيث المدرب ، وعمله المتواصل فى فصم هذه الرابطة على امتداد ثلاثة قرون أو أكثر . وهذا هو التوقيت الذى أعد له لويس عوض ، بأسلوب لاندرى كيف كان على وجه التحديد ، ليدخل أكبر مؤسسة انتزعت من أيديهم ، لتكون فى ايد عربية مخلصة صادقة .

هذه هى القضية ، كتبتها بكل ما استطعت من الوضوح لتعرف صحيفة الاهرام أن براءتها مما كتب لويس عوض ، عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، ليس فيها غضاضة ، بل هو أمر توجب الأمانة ، ويوجب الاخلاص لأبناء البلاد العربية والاسلامية ، أن تفعله بلا تردد ، لأن المراد منه هو احداث تدمير شامل فى وحدة الأمة العربية شيئا بعد شىء ، حتى يأتى يوم نقول : أيها العرب ، فلا نجد سميعا ولا مصيخا ، يستجيب للدعاء .

أما دراسة ما كتبه هذا الرجل عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، واظهار ما يخفى من خبائث التضليل والعبث ، فالعرض له مستمر ، ان شاء الله .

محمود محمد شاكر

النقد المستقل

بقلم الدكتور : رشاد رشدى

هذا حديث عن الكاتب الأمريكى « ادجار الن بو » الذى عاصر تشالز ديكنز والذى عرفه العالم بقصصه القصيرة : قصص الرعب والغرابة التى مازالت هوليوود تتفنن فى تصويرها للسينما · وعرفه العالم ايضا بشعره الذى كان غريبا فى عصره وظل غريبا الى يومنا هذا ، ولكنه مع هذا أثر فى الشعر الاوربى فى عصره فخلق المدرسة الرمزية الفرنسية ، وفيما بعد عصره ، فكان ذا أثر بعيد على الشعر الحديث ..

وادجار بو عرفه عصره ناقدا للقصة والشعر والمسرح يحترف النقد ويقسو فيه··صار ما لايعرف المجاملة ، جادا لا يقبل الا كل ما هو جيد ·· وكانت وفرة انتاجه فى النقد تكاد تنسى الناس ان هذا الناقد المحترف الطويل اللسان هو فى نفس الوقت كاتب قصصى من طراز فريد جعل دوستيفسكى يكتب عنه ابحاثا طويلة فى المجلة التى يرأس تحريرها ويسعى الى ترجمة ونشر قصصه بالروسية . وانه أيضا شاعر قد جعل شعراء فرنسا أمثال بودلير ومالارمى يتسارعون الى تقليده، وبول فاليرى يعلن نفسه تلميذا مخلصا له ولمبادئه . واذا كان مواطنو (بو) قد نسوا قيمته كشاعر وكاتب قصة فى أثناء حياته فقد بدأوا فى السنوات الاخيرة يكشفونه، لا فى اعماله فقط بل فى اعمال غيره من كبار الكتاب والشعراء امثال هنرى جيمس و « ت.س. اليوت » حتى اصبح يقال ان «بو» قد عاد الى امريكا عن طريق اوربا التى هاجر اليها وعاش فيها أمثال جيمس واليوت .

وليس الحديث اليوم عن عودة « بو » أو عن قيمته كشاعر أو قصصى أو عن ممارسته للنقد ممارسة كانت جديدة على عصره ·· فكل هذه امور خاض فيها الباحثون فى السنوات الاخيرة مما لم يعد يترك مجالا للبحث ·· ولكن الحديث عن نقطة ذات بال لم يتعرض لها أحد للآن ، وهى مفهوم ادجار بو للنقد الادبى ، فقد كان هذا المفهوم مثل كل مفهومات «بو» ، الاخرى ، هو الآخر ظاهرة جديدة لم يسبق بها عصره فحسب بل عاصر بها عصرنا هذا وفى أعلى مستوياته النقدية .. وهى مدرسة النقد الحديث .. ولكن ليس هذا هو السبب الذى يدعونى لان أعرض لنظرية «بو» فى النقد · ولو هذا العرض المبتسر الذى يسمح به المجال .. فالسبب أن المفهوم الذى كان يدين به «بو» منذ مائة سنة او أكثر لا يزال للآن بعيدا عنا الى حد كبير ، ولعل البساطة التى يصيغ بها نظريته تجعلها أقرب الى الاذهان ، فالمسألة فى الحقيقة ليست فيها نظرية او فلسفة وانما هى مبادىء عامة يمكن ان يتسع لها كل عصر وكل مكان ، لأنها لاتنتمى الى عصر معين او مكان معين أو عقل معين ..

فقد كان «بو» ينادى بما يسميه «النقد المستقل» وكان يقصد بهذا أن يكون النقد مستقلا عن كل الاعتبارات الخارجية ؛ كلا · فهو اولا واخيرا تعليق على الفن ، كما كان بو يسميه ·· ولذلك فليس من المفروض ان يناقش الناقد الآراء التى يعبر عنها العمل الفنى الا بمدى علاقة هذه الآراء ببناء وتركيب العمل الفنى ، لان مهمة الناقد تنحصر فى اختيار العمل الفنى وتحليله كعمل فنى فقط ··

وفى مقال « بمجلة جراهام » فى عام ١٨٤٢ كتب (بو) يقول :

.. ان النقد الادبى كما أفهمه ليس قطعا اختبارا او فحصا للآراء التى يعبر عنها العمل الادبى ، فهذه الآراء قد تهم المؤرخ والفيلسوف أو عالم الاخلاق ..

ولكنها لاتهم الناقد فى ذاتها ولذاتها .. فاذا هو تعرض لها بالمناقشـــة فيجب ان يدرك ان هذه المناقشة لا تدخل فى نطاق عمله كناقد ، بل انهـا تبعده عن طريقه كل البعد »

وكان «بو» لذلك يرى ان الحياد التام صفة من الزم الصفات التى يجب ان تتوفر فى الناقد .. اذ يجب عليه الا يحكم على العمل وفقا لما يحب او يكره ، بل يحكم عليه وفقا للعمل نفســه ، اى من داخله حسب هدف الكاتب ، والوسائل التى اتبعها لتحقيق هذا الهدف فنراه يكتب عن هوثورن فيقول « ان الناقد الحقيقى هو الذى لا يتدخل فى الخطة التى يرسمها الكاتب لنفســه ، بل يتطلب فقط تحقيق هذه الخطة وفحص الوسائل التى ادت الى تحقيقها أو فشلت فى هذا » ولكن لكى يستطيع الناقد ان يكون محايدا يجب ان يكون له منهج نقدى .. فاذا افتقر الناقد الى هــذا المنهج .. كان نقده عديم الفائدة ٠٠ وكان «بو» يدرك ادراكا واضحا الاخطار التى يمكن أن يتعرض لها الادب من النقـــد غير الموضوعى ، وغير المنهجى ٠٠ فاذا افتقر الناقد الى منهج كان طبيعيا انه يتجه الى التعميم وبذلك يلغى كيان نفسه ، اذ ان كيان الناقد لا يقوم على التعميم بل على التخصيص ٠٠ ولأن التعميم ايضـا يطمس الحقيقة فى حين ان وظيفة الناقد هى اولا وقبل كل شىء تمييز الحقيقة ٠٠

والطريق الآخر الذى يسلكه الناقد اذا افتقر الى منهج أن يلجا الى رايه الشخصى يستمد منه المعيار الذى يحكم به على الاعمال الادبية .. وقد كتب (بو) عن احد نقاد عصره من اساتذة الجامعات يقول :

« ان نقد بروفسور ويلسون هو نقـد سـطحى .. لانه يتكون من آرائه الشخصية التى هى فى الحقيقة اوامر ومطالب ذاتية .. وهو قد يقنعنا بها أحيانا .. واحيانا اخرى قد يبهرنا ويضللنا .. ولكن مهما كان شان هذه الآراء ، فهى لا تشرح لنا شيئا فى العمل الادبى الذى تناقشـــه . ولـذلك لا يمكن فى رأى (بو) ان تكون نقدا ومجرد الذوق أو القدرة على التذوق لم يكن فى رأيى كافيا لكى يستطيع الناقد أن يميز أو يشرح العمل الفنى ،فلابد للقدرة على التذوق أن تقترن بالمعرفة الواســـعة الشاملة للفن التى تمكن الناقد من ادراك القوانين التى تحكم الادب ، وبذلك يستطيع ان يفهم وان يميز وأن يشرح العمل الادبى ٠٠

ولذلك كان (بو) يرى مثــل (اليوت) ان الاداة الرئيسية للنقد هى التحليل .. وان الاداة الثانية هى المقارنة .. فنراه يكتب عن البروفسور ويلسون فيقول « انه لم يكن محللا » ونراه فى موقف آخر يقول : ان احسن النقاد هو اقدرهم على التحليل .. وفى موقف ثالث يقول : ان الناقد يجب أن تتوفر فيه القدرة على التحليل والمعرفة اللازمة للمقارنة ٠

واذا كانت نظرة (بو) لادوات النقد هى نفس نظرة (اليوت) والمدرسة الحديثة ، فان تقديره لمهمة النقد لا تختلف كثيرا عن تقديرنا اليوم . فقد كان يرى ان مهمة النقد هى الايضاح لا التفسـير .. هذا ما يتضمنه تعريفه لأداة النقد الرئيسية بانها التحليل٠ ٠٠ على ان هذا ليس كل مافى الامر ، فقـد كتب (بو) مرة يقول : ان العمل الفنى يجب أن يحتوى داخله كل مايلزم لفهمه ، واذا كان هذا يلغى بطبيعة الحال كل الاعتبارات الخارجية فى الحكم على العمل الادبى فانه أيضا يتضمن أن الحكم على العمـل الادبى يتطلب أن نراه كما هوعلى الحقيقة٠٠وهو الرأى الذى نادى به كاسيو أرنولد فى أواخر القرن الماضى،والذى هو الآن أساس النقد الحديث ٠

واذا كان (بو) قد اهتم بمحاربة الراى كاداة من أدوات النقد فهو قد اهتم أيضا بمحاربة التقدير التعسفى للاعمال الادبية السابقة ٠٠ وهو التقـدير الذى تتوارثه الاجيــال جيــلا بعــد جيـل ٠٠ ويصبح فى حـكم الامور المقطوع بها .. فقد كان يؤمن بان مثل هذا التقدير التعسفى الذى لا ينبنى على شواهد حققناها بانفسـنا ، من شانه ان يجعلنا نغلق أعيننا على نقائص الاعمــال الفنية السـالفة ونفتحها فقط على محاسنها .. ومثل هذا النقد ــ أو الافتقار الى النقد ــ من شانه ان يحد من حرية الاديب، اذ يجعله يضع أمام عينيه امثلة يحاول أن يقلدها بدلا من ان يدرسها ويتفحصها ، وبهذا يستكشفها ويستكشف نفسه .. بنفس هذا الراى نادى النقد الحديث عند قيامه فى أواخر العشرينات من هذا القرن ٠ بل لقد كان نقطة الانطلاق التى انطلق منها بالفعل ٠

د٠رشاد رشدى

التجديد والتقاليد

بقلم : محمود الشرقاوي

كل الادب والفكر والفن ، بجميع ألوانها وأنماطها ومضامينها ،لا بد أن تسير وان تتجدد مسيرة الحياة ذاتها ، وما دامت الحياة تسير فلا بد لهذه الفنون ، التى هى ايحاءات الحياة وتصويرها وتقدمها ونامها وتوجيهها ، من أن تسير .

هذه حقيقة تقررت وفرغ منهـا و **«التطلع» و «الشوق»** الى المعرفة حقيقة فى جبلة الانسان ، وفطرته صورتها الاديان فى قصة آدم الذى لم يستطع أن يقاوم هذا الشوق للمعرفة وهذا التطلع للادراك فأكل من الشجرة المحرمة ليعلم ويتعلم ويستطلع .

وقد روى أبو الريحان البيرونى : (فى القرن الرابع ـ الخامس ـ الهجرى ، العاشر الحادى عشر الميلادى) قصة قديمة تصور فى اجمل صورة وابرعها فطرة الانسان ونزوعه الى هذا التطلع : تقول القصة : ان معلما كان يسير مع أربعة من تلاميذه ، وطال بهم السير حتى دخل عليهم المساء ، وبينما هم يسيرون شاهدوا شبحا يحجبه الظلام فلم يعرفوا حقيقتـه وخافوه . وتلفت الاستاذ الى تلاميذه يسألهم عنه ، قال الاول : لا أدرى ماهو ، وقال الثانى : لا أدريه ولا قدرة لى على درايته ، وقال الثالث : لافائدة فى معرفته فان طلوع النهار يبديه ، فان كان مخيفـا انصرف بظهور الصباح ، وان كان غير مخيف بان لنا امره ، فقال الاستاذ : الثلاثة قاصرون عن المعرفة مقصرون فى السعى لادراكها : (أولهم بالجهـل ، والثانى بالعجز ، والثالث بالتراخى والرضى بالجهل) وتقدم رابعهم فقصد الشبح : (وحين قاربه رأى يقطينا وهو عليه ملتف ، فعلم أن الانسان «الحى المختار» لا يبقى فى موضعه قائما الى أن يحصل عليه ذلك الالتفاف) فدنا من الشبح وركله برجله حتى سقط . (وعاد الى أستاذه بالخبر اليقين وقد فاز من يديه بالمعرفة) .

هذه القصة الساذجة التى نقلهـا البيرونى من الثقافات القديمة ترمز الى ما أشرنا اليه من «التطلع» و «الشوق» ، والتوقان الفطرى الى المعرفة وكشف المجهول ، وانه صفة الانسان المفكر ، وترمز الى أن الانسان «الحى المختار» لايبقى فى موضع واحد حتى يلتف عليه النبات فيشل حركته ويقف سيره ويجعله نباتا مثله أو جمادا ، فذلك ليس من شأن الانسان «الحى المختار» على ما أشارت اليه القصة ، وترمز أيضا الى أن الانسان قد يركبه الخوف من شىء مجهول ، فاذا كشف عن شجاعته وتطلعه وتقدم نحو ذلك المجهول فاقتحمه و «ركله برجله» فانه عند ذلك يجد خوفه وهو وهم وسراب ، ويجد ذلك الشبح الذى يخافه ، بسبب الجهل ، قد سقط .

ولكن هذه (الشجاعة) يجب الا تنقلب الى (تهور) وهذا التطلع والشوق يجب ألا ينتهيا الى (نزق) ، وكل خطوة يدفعنا اليها هذا التطلع والشوق .. وتسوقنا اليها الشجاعة يجب أن تكون مدروسـة مقدرة متلائمة مع سابقتها ليكون لنا سير الى أمام لاقفز الى فوق ، ثم نهبط فى المكان نفسه لا نتقدم .

❋ ❋ ❋

هناك قصة هندية قديمة تصور ذلك تصويرا بارعا قويا ، تصور (الوسطية) بين الجمود والحركة ، بين الحكمة والاستهتار ، بين التطلع والنزق .

تقول القصة : ان رجلا مات عن ثلاثة بنين ، وترك فى تركته «بطيخة» كان يعتز بها اعتزازا لم يدركوا له سببا ، ولكنهم اعتزوا بها بعد موت أبيهم تقديرا له ووفاء لذكراه ، ولانها كانت من ثمار غرسه .. حفظ الابناء هذه البطيخة فى مكان حريز من بيتهم ،

ولكن الزمن أفسدها وخرجت منها رائحة كريهة امتلأ بها البيت وابتلى بها من فيه ، وجلس الثلاثة الابناء يتشاورون فيما يصنعون :

قال واحد منهم : لابد أن نحفظ هذه البطيخة ، رغم كل شيء ، ولو تعرضنا بسببها الى الهلاك : (فان حكمة أبينا لم تكن فوقها حكمة ، وما نحن بقادرين على أن نأتي بخير منها ، بل انا لعاقون اذا لم نحاول من ذلك شيئا .

وقال ثانيهم : بل على العكس ، يجب علينا التخلص من هذا الشيء القذر وشراء بطيخة جديدة .

فان من المخجل لنا أن نحتفظ بهذه البطيخة الفاسدة ، ولئن نفعل لنكونن مثلا في الناس ، فوق ما نتعرض له من التسمم بما تحوى من جراثيم الداء . وكل بطيخة هي مثل بطيختنا ، بل خير منها بعد ما انتابها من سوء .

وتطلع الاخوان الى ثالثهم يريدان رأيه فقال :

هيا نرمي البطيخة بعد أن نستخلص منها لبها فنبذره فيخرج لنا بطيخا جديدا تتصل الوشائج بينه وبين تراث أبينا . أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتي الدود عليها جميعا فمجلبة للسخرية والأمراض ، ومضيعة للبطيخة ذاتها . وأما رميها برمتها والاعتياض عنها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا وللنقود التي نؤديها في ثمن هذه وأثمان غيرها . هذا الى أن كل ما نشتريه لابد أن يجرى عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا ان نحن احتفظنا به قدر احتفاظنا بها .

ان التجديد هو ملاك الحياة والتقدم ، بيد أن كل جديد ينبغي أن يتولد من بذور الماضي ، وأن تقوم بذوره في أرض الماضي ، ولو تغيرت الفروع لتتوائم مع مقتضيات الفصول ، وتناولها التطعيم لتجويد الثمار .

« القصة من مجموعة ـ حكايات من الهند ـ للكاتب الهندى : آ.س.ب. أيار والترجمة عن الانجليزية للأستاذ عبده حسن الزيات المحامي » .

***

« التجديد » اذن ضرورة حتمية ، التجديد في الأدب وفي الدين وفي المجتمع ، وفي الحياة كلها .

ولكن التجديد يجب أن يكون امتدادا وتقدما يجرى على سنن ، وليس تمزيقا ولا هتكا ولا مجرد تغيير . هو ـ كما صوره الأستاذ العقاد ـ :

حركة متقدمة ذات اتجاه معروف يشبه اتجاه التيار بمجرى النهر المطرد في حركته الى غاية مجراه ، وهي كذلك أشبه بحركة النمو في الجسم الحي تحتفظ بالبنية وتزيد عليها ، ولا تلغي شيئا من البنية الا اذا جاءت بعوض له في مكانه .

ولكن هناك حركات « تلبيس وتدليس » باسم التجديد والتقدم ، وهي في حقيقتها وجوهرها وغاياتها هدم وتمزيق وتغيير لمجرد التغيير أو ما هو أشد خطورة وأكثر شرا من التغيير ، لاتقوم على ركيزة من الماضي ، فهي بناء على غير أساس وهدم لا ينتهي الا الى فراغ بل الى ما هو شر من الفراغ هي ـ كما وصفها المرحوم الأستاذ العقاد ـ :

مجرد حب التغيير الذي ينبعث في الأدب وفي غيره من مجرد حب التغيير ، وقد يسميها بعضهم مذاهب ومدارس وهي ليست من المذاهب أو المدارس في شيء ، وانما الأحرى بها أن تسمى بالأزياء والجدائل العارضة « الموضات » التي تتغير مع الزمن ... ولا معنى فيها للتقدم والاطراد . وانما هي ـ بالنسبة الى حركة التيار في مجراه ـ أشبه بحركة الموج من الشاطيء الى الشاطيء ، تزحف كل موجة منه على ما بعدها فتلغيه وتزول هي بعده في موجة أخرى ، ولا تتقدم بالنهر خطوة واحدة في طريق مجراه .

لست في هذا الذي أقوله داعية للتوقف والجمود ، ولا الى الرجعية ، وتاريخي الفكري والسياسي ، مدى خمس وثلاثين سنة ، يؤكد ذلك . وقد لقيت في سبيله كثيرا جدا من العنت والشر . ولكني لا أريد أن أقف موقف التهاون أو الغفلة حيال آراء ومبادىء ودعوات دخيلة قائمة على « التدليس والتلبيس » باسم التقدم والتجديد والحرية و « الدفع الثورى » وهي تستخدم هذا كله في الترويج والخداع والتستر .

نحن الآن ، ومنذ اثنتى عشرة سنة ، في ثورة . ولكن الثورة ، في بعض الأفهام وعلى بعض

الالسنة ، قرينة الهدم والشطط والتخريب • قد لا نجد ذلك صراحة ومجاهرة ولكنه مستور فى الضمائر مخبوء فى النية والطوية • وقد يكون أصحاب هذه الألسنة والأفهام بلهاء مخدوعين وقد يكونون خبثاء مخادعين ، ولكن الشر منهم وبسببهم دافع على كل حال ، ويجب ان يصد ويقاوم •

والى هؤلاء « الثائرين » المخدوعين أو المخادعين باسم الثورة نسوق دليلا جديدا على أن الثورة الصادقة المخلصة ليست خصيمة « للماضى » ولا للتقاليد – على شرط أن يفهم بمقياس جديد ، وأن تمحص التقاليد وتغربل بغربال جديد – بل الثورة الصادقة المخلصة لا بد أن تبنى على الماضى ، وأن تكون امتدادا لحياة الأمة ، وأن التجديد فيها لا بد أن يرتبط بأقوى رباط مع تقاليدها •

وهذا الدليل الجديد يجيئنا ويجيئهم من دولة هى فى صميم الدول الاشتراكية الثائرة : المجر • وقد ساندها وايدها فى ذلك غيرها من الدول ، اشتراكية وغير اشتراكية •

وقد وصف لنا الأستاذ مرسى سعد الدين فى الأخبار : « ١١ ديسمبر ١٩٦٤ » مؤتمر « نادى القلم» الذى عقد فى بودابست واشتركت فيه ثلاثون دولة ناقش ممثلوها مشكلة : « التقاليد والتجديد فى الأدب » •

ونعرف من هذا الوصف – وكان كاتبه مشتركا فى المؤتمر – أن نادى القلم المجرى بين للمؤتمرين مدى التقدم الأدبى والثقافى الذى حدث هناك : « وهو بالفعل تقدم مثير ، سواء فى مدلوله أو فى فتحة الأبواب لكل تأثير خارجى سواء من الشرق أو من الغرب – أى من العالم غير الشيوعى – وقد انعكس هذا الأثر فى البحوث التى ألقاها الكتاب والشعراء المجر ، والتى عكست مدى تأثرهم بالتيارات الأدبية فى أوربا عامة وفى فرنسا وانجلترا خاصة » •

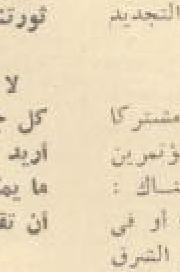
ولكن « الدليل » الذى نريده ونعنيه ، أو « محل الشاهد » ، كما كان يقول الأقدمون ، هو **النتائج التى انتهى اليها المؤتمر وهى : « ان التجديد الحقيقى فى الأدب يجب أن يرتبط ارتباطا قويا مع التقاليد • بل ان هذا التجديد ليس فى الواقع الا امتدادا للتقاليد الأصيلة • واذا لم يحدث هذا فالتجديد لا يتعدى أن يكون « موضة » طارئة سرعان** ما تزول » • **وقد اشترك فى هذا المؤتمر وفى** اصدار هذه القرارات أدباء ومفكرون من انجلترا وفرنسا وامريكا والمجر وكثير من دول العالمين : الشرقى والغربى •

***

وقبل هذا المؤتمر وتوصياته اذكر كلمة حكيمة مخلصة رائعة قالها مفكر من عباقرة المفكرين فى عالمنا المعاصر ، وفى كل العصور ، وهى كلمة لا أفتأ أرددها كلما عرضت لحديث التجديد والتقاليد • كلمة أعتقد أنها **يجب أن تكون نبراسا يضىء طريقنا ويهدى حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا ونحن نسير مع ثورتنا الى المستقبل ، تلك هى كلمة غاندى :**

لا أريد لبيتى ان يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد ان تكون نوافذه مغلقة • بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكننى انكر على اية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى •

« محمود الشرقاوى »



مفاهيمنا الإسلامية .. ثورية

بقلم : محمد جلال كشك

يروى عن أحد ادبائنا تصريح مشهور قال فيه ، انه شرع في القراءة بعد أن كتب .. !! وقد يشفع لكاتبنا أنه قصاص .. وقد يقال عن هذا الفن انه موهبة تنشأ عند صاحبها بالفطرة .. ثم لا يعفيه هذا من الدرس والصقل والمعاناة .. أما الذى لا شفاعة فيه ولا سبيل الى قبوله .. فهو نقد من لا يعلم .. فالنقد ليس موهبة ولا شطارة ، بل علم .. ولعله علم العلوم .. ولا أحسبني أكلف الناس شططا ان اشترطت العلم بالشيء قبل التصدى لنقده ..

ولقد فرحت وجزعت بمقال الأخ الحساني حسن عبد الله ، عن كتابي « الغزو الفكرى » فرحت .. لانه أتاح لى فرصة القتال في جبهة من الضرورى أن تنتصر فيها المفاهيم الاسلامية حتى تؤمن حركة البعث الاسلامي مؤخرتها وهي تقاتل عدوها الأكبر .. الاستعمار الغربي .. اذ لابد أن تتطهر المؤخرة في جيوب التخلف والتشنج ، ومحاولات اقحام مفاهيم رجعية على الدين السمح الثورى .. دين تغيير المنكر باليد ابتداء ... وتقويم الخليفة الصديق بالسيف ..

فحركة البعث الاسلامي .. لا تهدف الى الرجوع الى الوراء ، الى التخلف الفكرى والاجتماعي ، ولا الى الدردشة والفلسفة التبريرية التى كانت تفتى بشرعية الفسق والظلم باسم الدين زورا وبهتانا..

انما نحن نؤمن أن العلم والتاريخ معنا .. واننا الاقدر على بناء حضارة انسانية متفتحة لكل العلوم والأفكار المثمرة .. لا لشيء الا لأننا مسلمون .. ولأن ديننا هو دين التقدم والازدهار ، والتفاعل الفكرى الخلاق .. ما رفضنا حقيقة علمية واحدة مهما كان مصدرها .. بل أمرنا بطلب العلم ولو في الصين .. والصين لم تكن ابعد مكانا فحسب ، بل كانت أبعد عقيدة وشريعة ..

ونحن نؤمن ان الله لا يحتاج منا الى تبرير افعاله بالحق فضلا عن تبريرها بالباطل .. وانما نحن الذين نحتاج الى فهم رسالة السماء فهى التى تهبنا القوة والحق في الوجود ..

أقول فرحت بمقال الأخ الحساني ، لانه يتيح الفرصة لنفي شبهة الرجعية عن مفاهيمنا الاسلامية .. وجزعت - أيضا - لأن كاتب المقال يمثل جانبا من التعليم في بلادنا ... كنت وما زلت ، ويشاركنى الكثير في تطلعى اليه ، ارجو أن يؤدى دورا حاسما في معركة البعث الاسلامي ..

وليس من المعقول أن يبقى هذا اللون من التعليم معزولا عن الفكر العالمي ، في عجز عن فهم المفردات والمصطلحات السياسية التى يدور حولها الجدل اليوم ..

وليس من المعقول أن ينطلق لتفنيد المذاهب دون معرفة بها .. فهو يرفض المادية التاريخية ، وهو ايضا يضبطني «متلبسا بتهريبها تحت ستار الاسلام .. وهو لا يعرف المادية التاريخية اذ يقول: « أصحاب المادية التاريخية الذين قسموا تاريخ الانسانية الى سبع مراحل شاع في الرابعة والخامسة منها استخدام الرقيق ثم بدأ يتلاشى عند ظهور الراسمالية في المرحلتين الأخيرتين .. »

جملة يشيع فيها عدم العلم ، فالمادية التاريخية كما يعرف كل مبتدىء تقسم تاريخ الانسانية الى هذه المراحل « المشاعية البدائية .. العبودية .. الاقطاع .. الراسمالية .. الاشتراكية .. ثم الشيوعية أى ست مراحل لا سبع .. خمس منها شاهدتها البشرية ، في دعوى المادية التاريخية ، والسادسة لم يعرفها الناس الا أمانيا ..

ولكن الأخ الحسانى يضيف لهم مرحلة سابعة ! ثم ان المادية التاريخية لم تقل ان الرق وجد فى الرابعة والخامسة ، بل فى الثانية والثالثة ٠٠ اما حكاية ظهور الراسمالية فى المرحلتين الأخيرتين فكلام ليس له خبيء ٠ ٠معناه ليس له علم ٠٠ لأن الراسمالية مرحلة واحدة ٠

وواضح أنه لا يعلم شيئا عن المادية التاريخية فلا سبيل الى ادعاء أنه يتقصى آثارها ويكشف بصماتها فى افكار الرافضين لها ٠

فلننتقل الى فهمه للاسلام ٠٠

قلنا فى « الغزو الفكرى » ان موقف الاسلام من قضية الرق أعظم واجل من أن تناله أحقاد الصليبيين ، لأنه عالج الرق كضرورة اجتماعية وتاريخية ، لم تتوفر شروط الغائها الا بعد ١٣ قرنا من ظهور الاسلام ٠٠ ولكن الاسلام قد شرع ودعا وحض على كل مايخفف شرور هذه الضرورة ويصفى منابعها ويمهد لزوالها ٠٠ وقلنا ان الرق مارسه وثنيون ويهود ومسيحيون وملاحدة ٠٠ وأن سفن الكاثوليك نقلت ٣ ملايين عبد من أنجولا وحدها الى مزارع البروتستنت فى امريكا ٠٠ فلماذا تعمى العيون عن الرق على بعد قرن واحد ويتباكون عليه على بعد ١٣ قرنا ٠٠ ؟ !

وقلنا ان الرق فى الاسلام علاقة اجتماعية وحالة قانونية ولكنها لا تنقص أبدا من انسانية الرقيق الذى يمكنه أن يتزوج بنت عمة رسول الله وأن يطلقها ويتولى امارة الجيش على كبار الصحابة بل أن يكون سلطانا على المسلمين على أن تتم اجراءات عتقه ٠٠

وعبر الفاظ لا يعرفها النقد ولا النقاد ٠٠ قال الأخ الحسانى ان هذا تفسير مادى للتاريخ ٠٠ يؤمن بحكاية الضرورات المادية والتاريخية ٠٠ وأن ليس على الله سبحانه وتعالى ضرورات ٠٠٠ وقديما عندما قرر عمر عدم الدخول فى الأرض الموبوءة بالطاعون وساله أحدهم « أفرارا من قضاء الله ٠٠!؟ لولا أن السائل هو ابو عبيدة بن الجراح لعلاه - رضى الله عنه - بالعصا ولكنه اكتفى بقولته الرائعة « نعم ٠٠ الى قضاء الله » ٠٠

لأن قوانين التطور لم يخترعها ماركس ، بل هو على أحسن الفروض أحد مكتشفيها ٠٠ ولكنه لم يسنها ٠٠ هى من ارادة الله سبحانه وتعالى ٠٠ تماما كقانون الجاذبية لم يخترعه نيوتن بل اكتشفه ٠٠ واذا حاول الأخ الحسانى أن يقفز من نافذة الطائرة بغير مظلة متحديا قوانين نيوتن لأن قدرة الله فوق القوانين الطبيعية٠٠ فستضطر الى تقييده وتسليمه لأول مطار ٠٠ لأن ارادة الله لا تتعارض مع احترام القوانين الطبيعية والنظم الكونية التى رسمتها ارادة الله ٠٠ ولأن مخالفة هذه القوانين هى المعجزات التى يختص بها الله بعضا من عباده ٠٠

هو يريد أن يقول أن الاسلام حرم الرق ، ويضع نفسه بذلك فى موقف لا يفيد الاسلام وأيضا لا يضيره ٠ ولكنه يحس أن الواقع والنصوص ضده ٠٠ فيلجأ الى الخلط بين الأسر والرق ٠٠ اى بين السبب والنتيجة ، فالأسر هو سبب الرق ، ولكنهما ليسا حالة واحدة ٠٠ كما نقول ان الفقر هو سبب الزنا ونحن نحرم الزنا ولكن لا يعقل تحريم الفقر بنص دينى ٠٠ وان حاربناه وكرهناه ٠٠

فالأسر مستمر ما دامت هناك حروب ٠٠ ولكن التصرف فى الأسر يختلف ٠٠ كانوا يقتلون الأسرى ٠٠ ثم استرقوهم ٠٠ وقد يطلق سراحهم ، أو يفتدون ٠٠ أو يسخرون فى العمل لخدمة الدولة ٠

والرق كما ترى حالة قانونية ونظام اجتماعى زالت مبرراته وزال وجوده وانتهى تاريخيا ولا سبيل لعودته بحال من الأحوال٠ وقد شرحنا موقف الاسلام الرائع من هذه الضرورة التاريخية ٠٠ أما الدفاع الساذج بالقول بأن الاسلام لم يحرم الرق بنص صريح لأن اللبيب تكفيه الاشارة ولأن « عقل المسلم ليس فى حاجة الى نص قاطع لأن الوصية تكفيه ولا لزوم لاصدار الأوامر حيث تغنى النصائح والوصايا ٠٠ »

كلام ٠٠٠

الاسلام الذى أتى بالنص الصريح القاطع فى تحريم اتيان المرأة الحائض ٠٠ لم يكن ليترك قضية الرق اكتفاء بالنصح !

ولقد كان يسعدنى أن أكون مكتشف الرأى القائل بأن الرق ظاهرة اجتماعية واقتصادية

لا سبيل الى الغائها بنص صريح الا بتوافر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدولية الكفيلة بالغائها ٠٠ وان الاسلام واجه الضرورة فرد للرقيق انسانيتهم ، فاصبحت علاقة قانونية ، كالتى بين العامل والرأسمالى علاقة تفوق أحد الطرفين ٠٠ ولكن لا خلاف على اكتمال انسانية كل منهما ٠٠ ثم حرص على أن يشرع كل ما يفضى الى تحرير الرقيق وتصفيته ٠٠ واعداد المسلمين لاستئصالها متى تمت ارادة الله بقيام الظروف الاجتماعية التى تسمح بذلك ٠٠

أقول كان يسعدني أن أكون مكتشف هذا ولكنى للأسف لست الا الأخير زمانه ٠ ! وهذا كتاب «لا رق فى القرآن» لابراهيم هاشم الفلالى يستعرض آراء عدد من المسلمين في الرق ٠ انقلها بنصها :

رشيد رضا : « وضع الاسلام الأحكام الممهدة لزوال الرق بالتدريج الممكن بغير ضرر ولا ضرار ، ولا بغى ولا استكبار اذ كان ابطاله دفعة واحدة متعذرا فى نظام الاجتماع البشرى من الناحيتين : ناحية مصالح السادة المسترقين وناحية معيشة الأرقاء المستعبدين » ٠

الشيخ محمد محمد المدنى : « كان العالم كله معترفا بالرق ، وكان التعامل العام قائما على الاعتراف به ، فلم يكن من صالح المسلمين يومئذ أن يبطلوا هذا اللون من التعامل دفعة واحدة ، فقضت الحكمة الالهية بأن يتدرج فى هذا الالغاء » ٠

سيد قطب : « جاء الاسلام فوجد الرق نظاما عالميا ، ووجد استرقاق الأسرى عرفا دوليا ، فلم يكن بد أن يتريث فى علاج هذا الوضع الاجتماعى القائم ، والنظام الدولى الشامل ، وقد اختار أن يجفف منابع الرق وموارده حتى ينتهى هذا النظام كله مع الزمن الى الالغاء دون احداث هزة اجتماعية لا يمكن ضبطها ولا قيادتها » ٠

ومحمد قطب ٠٠ يشن حملة شعواء على من يزعمون بالضرورة التاريخية ، ثم يقول :

« الرق كان فى كيان المجتمع ، ونفوس الأفراد لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية ولو كان يعلم أن ابطال الرق يكفل له مجرد اصدار « مرسوم » بالغائه لما كان هناك سبب لتأخر هذا المرسوم ٠٠ ولم يكن فى وسع الاسلام أن يتخطى هذه الأجيال كلها ، ويصدر تشريعا يحتاج تنفيذه الى ألف سنة حتى يجيء الوقت المناسب للقضاء عليها نهائيا ٠ اذن فقد كانت ضرورة لا نكال منها مادام العدو مصرا على استرقاق الأسرى ، والاسلام لا سلطان له عليه ، ضرورة تظل قائمة حتى يتفق العالم على مبدأ آخر وظل الاسلام مضطرا الى عدم الغاء الرق » ٠

د ٠ على عبد الواحد وافى : ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى كانت تكتنف العالم فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام ، كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ٠٠٠ ظهر الاسلام فى عصر كان الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحى الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج ٠٠ فلم يكن من الاصلاح الاجتماعى فى شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا لأول وهلة فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة لذلك أقر الاسلام الرق » ٠

امين الخولى : « سلك الاسلام نحو الرق مسلكه الثابت الواضح ٠٠ يعترف بالواقع المشهود الى حد ما ثم يمضى يلطف قسوته » ٠

ارايت كيف أننا فى الرد على أعداء الاسلام العقلاء كنا فى مجال اثبات فضل الاسلام على معارضيه فى موقفه من الرق ، فاذا بصديق الاسلام الحسانى يضعنا فى مجال اثبات وجود الرق فى الاسلام ٠٠ ولا حول ولا قوة الا بالله !

ليته لم يجهل ولم ينقد ٠٠

ثم ننتقل الى اعتراضاته حول موقفنا من الاصلاحيين ودستور ٢٣ والثورة والصراع الطبقى ٠٠ وهو هنا كما يعكس الفهم الرجعى ، يعكس ايضا الفقر السياسى ولا يشفع له ان يقول قال العقاد ٠٠

فهو لا يفهم معنى « الاصلاحية » ٠٠ ولا بأس من الشرح ٠٠ النظام القائم فى بلد معين وزمن معين ، اما نظام صالح يحقق ارادة الأمة ويطلق امكانياتها نحو تحقيق أهدافها القومية ٠٠ ومن ثم فالخلافات فى داخله هى حول التفصيليات أو أسلوب العمل او التطبيق ٠٠ وهنا يصبح الحل ٠٠ الاصلاح ٠٠ الذى يكمل الصورة ويدفع عجلة النظام اكثر فاكثر ، ويرسى قواعده المرضى عنها على أسس أرسخ وأعمق ٠٠

واما نظام مرفوض ضـــد ارادة الأمـة ، معطل لامكانياتها مناقض لاهدافها ، حرب على وجودها ، وازدهارها ٠٠ والحل هو الثورة التى تقوضه فوق راس الحاكمين وتطلق يد الأمة فى تخطيط مصيرها وفرض ارادتها ، والسـبيل الى الثـورة هو تعبئة الشعب ، الهاب الجماهير ، توعيتها ، تحريضها ضد الطبقات الحاكمة فضح النظام القـائم امامهـا ، وتعريته ، وقطع كل امل فيه ٠٠ مادمنا قد سلمنا بفساده أصلا ٠٠ وعندما يحس أعداء الأمة بتجمع الثورة ويحاولون تفتيت وحدة الجماهير وبث الفرقة بينهم ، بتضليل جانب منهم ، وخداعهم ، وشغلهم بالجزئيات عن الكليات ، فيلقون لهم بعض الفتات يسمونها الاصلاحات ودعاتها بالاصلاحيين ٠٠

فالثورى هنا يكشف زيف هذه الاصلاحات لا لأنه شرير يتلذذ بعذاب الجماهير ٠٠ بل لأنه يعرف ان الخلاص الحقيقى للجماهير هو فى الثورة وتقويض النظام الذى لا امل فيه ٠٠

فمثلا ٠٠ فى ظل حكومة الرئيس بن بللا ٠٠ واستقلال الجزائر الاصلاحات هى الســبيل لحل الخلافات وتطوير النظام الذى شـادته الجمـاهير بثورتها ٠٠ والثوريون هنا اصلاحيون ٠٠ اما قبل ســقوط النظام الفرنسى الاستعمارى ، فالاصلاحى خائن يعطى للنظام المعادى حقنة مقوية ٠٠ ولاسبيل للقول بان الاسلام يتعارض مع الثورة ٠٠ فثورة الجزائر هى أعظم جهاد اسلامى معاصر ٠٠ والقول بان الاسـلام لا يؤمن بالصراع الطبقى تطاول على الاسلام ممن لا يعلم ، وقول لا يخـدم المسلمين فى ظروف الثورة الاســلامية ضد طبقات مالكة غير مسلمة فى معظمها استعمارية ظالمة تعاونها أجـزاء مسلمة خائنة ٠٠ الصراع الطبقى مستبعد فى داخل المجتمع الاسـلامى ٠٠ حيث الحـكم والحـكام والمحكومون تظلهم راية الاسـلام ٠٠٠ أما فى ظل الاحتلال الغربى للعالم الاسـلامى فالثورة حق ، وتحريض الجمـاهير فريضــة ، والصراع الطبقى مشروع ٠٠

وقد كنـا فى « الغزو الفكرى » نناقش موقف عبد الرحمن الشرقاوى من دســتور ٢٣ الوفدى الرجعى الذى جاء بناء على توصية من لجنة ملنر ووضـــعه بكاوات وباشوات وعبث فيه الانجليز والسراى ، وسمى سعد لجنة الثلاثين التى وضعته بلجنة الاشقياء ، وقال انه يشتمل على كثـير من المبـادىء الرجعيـة ، ولم يكن أكثر من محاولة انجليزية لتفتيت الثورة المصرية وشغل جماهيرها ببعضها ٠٠ واذا كان جهل الناقد بالتاريخ يشـفع له فى دفاعه عن دستور ٢٣ فهو لا يشـفع له فى اتهام العارفين بالكذاب ٠٠ وقد والله أشفقت أن أضيع وقت القراء فى اثبات المواد التى حذفهـا الانجليز من دستور ٢٣ قبل اعلانه ٠٠ وتصريحات سعد ضده ، فهذه موجودة فى الكتب المدرسية ، ولا بد من افتراض حد أدنى من المعرفة عند القراء فضلا عن النقاد !

ولا أدرى سر فرحة الصديق الحسانى بالنص على ان « الأمة مصدر السلطات » فى الدستور الملغى ٠٠ وأول خليفة عندنا يطلب من الأمة ان تقـومه ان أخطأ ٠٠ فيعده أحدهم بتقويمه بالسيف !

أما الاستشهاد بالعقاد ٠٠ فيجب ان نعرف ان للعقاد حيـاته الشخصية وسلوكه الســياسى ٠٠ واجتهاداته الاســلامية ٠٠ العقاد دافع عن دستور ٢٣ لأنه كان وفديا ٠٠ لا بوصــفه فيلســوف الاسلام ٠٠ ونحن ندعو له بالرحمة والخلود بقدر اجتهاداته فى الفكر الاسلامى ٠٠ التى نرجو من تلاميذه الا يفسدوها عليه باصرارهم على الزج به فى معاركهم ٠٠

وأخيرا ٠٠ لقد كان دستور ٢٣ خدعة انجليزية لتدمير ثورة ١٩ ٠٠ وقبوله وقتها كان غلطة ٠٠ أما الدفاع عنه فى عشية ثورة ٥٢ وبعد الغائه فجريمة ٠

والزعم اليوم بانه كان نزولا على ارادة الأمة فهو جهل ٠٠٠ وأبشع منه حذف المناسـبة التى تتحدث فيها والقول باننا ضد مبدأ الدساتير !! ثم اعلان أن الاسلام لا يقوم الا بالدستور وقد قام الاسلام قبـل اشـتقاق هذه الكلمة باثنى عشر قرنا ٠٠ وسيقوم الى أن يرث الله الارض ومن عليها ٠٠

« محمد جلال كشك »

فلسفة العقاد

نظرية الوجود الارادي

بقلم عبد الفتاح الديدي

فلسفة العقاد فلسفة أصيلة نابعة من صميم كيانه وتفكيره ، وهي ليست مجرد احتراف صناعي وانما هي ضرورة في حياته التي تجاوزت نطاق الأوطان ، وأصبح نطاقها الكون كله في كل زمان . ليست الفلسفة عارضا في حياة العقاد وانما هي شيء صادر عن طبيعة حسه وعقله . وتعريفه لها بأنها العلم الكلي على حد تعبير الفارابي لا ينجم عن مجرد كونها بحثا في علوم ما بعد الطبيعة أو فيما وراء المادة وما وراء الزمان والمكان . بل ينجم هذا التعريف عن كونها ضرورة . فهي ليست من البعد عن حياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية بحيث تخرج من عالم الطبيعة الى ماوراءها. وان الانسان ما عاش وان يعيش بغير فلسفة حياة منذ يحث في العلاقة بينه وبين العالم المنظور والعالم المحجوب . وهذه الصناعة التي تسمى بالفلسفة لا تغادر الطبيعة كل المغادرة ولا تنطلق منها الى ما وراءها بغير رجعة الينا في حياة الغذاء والكساء .

فهي ـ أي الفلسفة ـ علم كلي لشمولها مباحث الطبيعة ومباحث ما وراء الطبيعة في وقت واحد . وهي علم كلي لتخطيها حدود الجزئيات والفرديات والتماسها الخصائص الشاملة في جميع الموجودات .

واذا شئنا ان نستخدم منهج العقاد ذاته في اكتشاف مفتاح شخصيته الذى تنفذ به الى جميع خطوط فكره وقفنا عند كلمة الارادة . الارادة عند العقاد هي المحور الذى تدور حوله كل فلسفته . وقد تاثر العقاد بشوبنهور وفلسفته تاثرا عميقا واستفاد من النظر في مؤلفاته في اكتشاف الطابع الفلسفي الأصيل لحقيقة الارادة .

قال فيثاغورس قبل خمسة وعشرين قرنا : ان العدد هو سر الوجود وان النسبة بين الأشياء هي نسبة بين أعداد . فكان فرضه هذا في نظر العقاد أقرب الى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس الى سنوات . وقد قاله فيثاغورث حين رأى ان الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ماشابه هذه الأعراض الكثيرة الا العدد . فانه ملازم لكل موجود فردا كان أو أكثر من فرد وكاملا كان أو غير كامل . وان الفروق بين الأشياء هي فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب عددية وان الكون كله دور موسيقي هائل يدور على قياس منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء .

والعقاد يستمرىء هذا اللون من التفكير . ولكنه يعود فيتساءل : هل هذا التناسق النسبي بين الكائنات والموجودات هو مجرد اجتماع أو انشقاق بغير قصد أو دلالة ؟ أم أن ثمة وضعا سابقا على وجود النسب يدعو الى افتراض وجهتها في التناسب أو التوزع وفي التقارب أو الانشقاق ؟ ما الذى يفرض على الماهيات النسقية للأشياء وجهتها في التذبذب والتخلخل وفي التكاثف أو التحلل ؟ هاهنا وضع العقاد الارادة بوصفها سياقا أو أسلوبا هادفا داخل اطار الوجود القصدى للكائنات والأحياء والموجودات والأحداث ومظاهر الطبيعة وأكوان

ما بعد الطبيعة بل للأفراد والجماعات البشرية ذاتها .

والارادة تتمثل فى الوجود بمجرد الوجود . الارادة والوجود يظهران معا . ويكفى أن نقول عن الوجود انه موجود لنقرر انعدام العدم . وكذلك يكفى أن نقرر وجود الوجود لنكتشف مظهر الارادة. فالوجود ليس الارادة . ولكن الوجود لا يكون الا بارادة . ولهذا تعد الارادة بديهية لا تحتمل الصدق والكذب على نحو ما تقول ان الوجود موجود . والكوجيتو الديكارتي يستمد حقيقته من الكيان الذاتي للانسان . أما مصادرة العقاد فى وجود الارادة فهى أولية على نحو أولية الحياة والوجود معا . ان الكوجيتو الديكارتي يتخطى الوجود من أجل العودة لاثباته من جديد عن طريق وجود الذات اليقيني . أما العقاد فيكتشف بديهية الوجود .. مجرد الوجود .. كمعنى من معاني الارادة الممتدة في الموجود .. أى موجود.. الموجود الموضوعي كالمرئيات والمدركات أو الموجود الذاتي كالجماعة والأفراد .

ومن الوجود بالمعنى الأعم الأشمل يستلهم العقاد معنى الارادة المنبثقة . ومن الارادة ينتقل العقاد الى بطن الحقائق الذاتية والموضوعية على السواء . ومن حقيقة الارادة الذاتية يكتشف النوع وفى اطار النوع يحدد اتجاه التاريخ وفى حدود التاريخ يلتمس بواعث الفرد وحرياته وتبعاته .

ومجرد الوجود يهدم القول بالعبث أو بالمصادفة ويثبت الارادة ويؤكدها . وليس الوجود والارادة شيئين مختلفين أو ظاهرتين منفصلتين ترتبطان برابطة ما . انهما شيء واحد يظهر لنا على نحوين مختلفين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر . الأول حسى موضوعي والثاني معنوى غائى . يقول العقاد فى مقدمة كتابه مطالعات في الكتب والحياة : « اننى أعجب لفهم حقائق الأشياء على ذلك الوجه الذى يجعل العالم المادى مناقضا للعالم الروحى كأنهما عالمان منفصلان فى فضاءين منعزلين . فالصواب عندى أن العالم كله « قوى » من طبيعة الروح التى نتصورها . وما الفرق بين الظاهر والباطن منهما الا فى طريقة الادراك واستعداد الحواس » .

والعقاد هنا ينمى الطريقة الكلاسيكية فى التفكير. انه يعارض شوبنهور من جملة وجوه . فشوبنهور يبدأ بالفرد ليعود فيقضى عليه . أما العقاد فيبدأ بالارادة الكونية ليعود فيبرز كيان الفرد . وقد تعلم العقاد هنا من نيتشه شيئا ثمينا جعله يعرض هو الآخر عن شوبنهور على نحو ما فعل نيتشه حين انقض على أستاذه شوبنهور بعد أن تعبد بعبادته واخلص له الحب والولاء زمنا ليس بالقصير .

والعقاد بطبيعته ينفر من التشاؤم ولذلك أدرك معنى الارادة على نحو عارض به مذهب شوبنهور . فشوبنهور يفهم الارادة على أنها حقيقة يلمسها الفرد فى نفسه ثم يصبح الفرد نفسه عند شوبنهور ظاهرة من ظواهر الارادة . أما العقاد فيلتفت الى الوجود الماهوى على أنه ارادة ويضع ارادة الوجود فى مرتبة واحدة مع ظاهرة الوجود ويستخلص منها بديهية لا تحتاج الى دليل . وشوبنهور يبدأ من الفرد ليعود فيلحقه بالوجود الظاهرى الوهمى الخداع . أما العقاد فيبدأ من ارادة الوجود ليكتشفها فى حقيقة الفرد الحر بين ضرورات الوجود .

ويقول العقاد فى نفس المرجع السابق (ص٢٢٠): « انما الذى يجمل بنا أن نفهمه ان قيود الضرورة هى مسبار ما فى النفوس من جوهر الحرية الصحيحة كما أن القيود التى تثقل بها أعضاء البهلوان الماهر هى مسبار مهارته وقدرته الخطران والوثب واللعب » وسبق هذا أن أشار العقاد فى مقدمة المراجعات الى حقيقة الارادة بقوله : « ان الكون كله والحياة (وهى أعم من الكون فى نظرى) والفن ومناظر الأرض والسماء ... كل أولئك مظهر للتآلف أو للتنازع بين الحرية والضرورة أو بين الجمال والمنفعة أو بين الروح والمادة أو بين أفراح الفن وأوزانه : قوى مطلقة وقوانين تحكم هذه القوى المطلقة . وكلما ائتلفت القوى والقوانين اقتربت من السمة الفنية والنظام الجميل الذى يبين بالمادة صفاء الروح ويسبر بالقيود أغوار الحرية ..» ولو أحببنا استكمال عبارة العقاد لقلنا « ويستشف بالوجود بديهية الارادة » .

ويمضى العقاد فى توضيح فكرته قائلا : « وهكذا فلتكن الحياة وعلى هذا المعنى فلنفهم ضروراتها وقوانينها . فما الضرورات والقوانين الا القالب الذى تحصر فيه الحياة عند صبها وصياغتها ليكون لها حيز محدود فى هذا الوجود ولتسلم من العدم المطلق الذى تصير بها الفوضى اليه . والا فتصور عالما لا موانع فيه ولا أثقال ثم انظر ماذا لعله يكون؟ انه لا يكون الا فضاء بغير فاصل أو هيولى بغير تكوين .. وسبيلنا بعد اذ عرفنا هذا أن نرزح بقيود الحياة ونخضع لها أو انخ نحملها معنا ونتعلم

الجرى بها كأنها لا تعوقنا عن مرامنا • فاما ان رزحنا بها وخضعنا لها فقد جعلنا القيد هو الغرض والغاية ونسينا بذلك غرض الحياة الأسمى وغايتها القصوى» •

فالوجود عند العقاد ـ مجرد الوجود ـ ارادة • لأنه وجود في ضرورات واحكام تبتعث تلقائيا الارادة • وما يسميه العقاد الحياة هو هو الارادة • والوجود هو الارادة والا لامتنع وجود الوجود نفسه • ان الوجود هو ارادة انتفاء العدم والقضاء عليه • ان الوجود ذاته يحمل في ذاته ارادة منع العدم • والوجود بغير الارادة لا تفهم معه الضرورات والقيود والأحكام •

« اننا نعطي الوجود الزم لوازمه اذا قلنا انه غير المعدوم • وحين نقول هذا الوجود قصدنا بذلك هذه الموجودات •

« ومن أعجب العجب قول بعض الناس ان الوجود يتوقف على احساس من يحسونه • فهل معنى ذلك أن الشيء لا يكون موجودا لذاته الا اذا وجد من يحس أنه موجود ؟ » (العقاد : ملاحظات وردود على تأملات ونقود ـ الرسالة العدد ٧٣٥ ٤/٨/١٩٤٧) •

ولهذا انصرف العقاد بكليته الى تثبيت نظريته في الوجود الارادي على اساس سابق على الوجود الذاتي • وهذا النزوع نحو اليقين الموضوعي في فلسفة العقاد معارض لكل فلسفة تأملية أولا ومعارض لكل فلسفة ذاتية مبنية على اليقين الذاتي عن طريق الكوجيتو ثانيا ومتأثر بفلسفة دارون في ارادة الحياة وبفلسفة نيتشه في ارادة القوة من ناحية ثالثة • وهو لذلك ينظر الى الكوجيتو الديكارتي نظرة ارتياب ويقول ان قيمة الكوجيتو الديكارتي مستمدة من حقيقة الزمن الذي ظهرت فيه وأثرها في تقرير حق الفكر وحق البحث • أما الكوجيتو الديكارتي فسواء أخطأ صاحبه أم أصاب فليس من حقنا أن نوقف اليقين بالوجود على الفكر أو أن ننظر في مشكلة الوجود ابتداء من نظرية المعرفة •

ان فلسفة الوجود الارادي تشترع منهجا جديدا يخرج على كل المواقف الفلسفية التي شاعت في العصر الحديث • انها ترفض الوجود الآلي المحض من جهة وتنكر اتخاذ الوجود الذاتي نقطة انطلاق الى مباحث مابعد الطبيعة • وكان « كانت » قد قسم الحقائق الى قسمين : حقائق الأشياء في ظواهرها وحقائق الأشياء في ذاتها (العقاد : المطالعات ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وكما قسم « كانت » الحقائق الى قسمين كذلك قسم الانسان الى قوتين : العقل والارادة أو الوجدان • فالعقل يدرك الأشياء في ظواهرها والارادة تحيط بالأشياء في ذواتها لأنها هي من عالم هذه الذوات • ومن هنا نفهم ان علم ماوراء الطبيعة مستحيل من طريق العقل في راى «كانت» ولا سبيل اليه الا من طريق الارادة التي تحيط بكنه الأشياء •

فالعقاد يتخذ من موقف « كانت » نقطة تحليل معرفية يخلص منها الى أنه اذا كان لامندوحة عن اتخاذ سبيل الى المعرفة فلا بد من الارادة حتى تنفذ الى الأشياء في ذاتها لأنها تحيط بكنه الأشياء ولأنها هي نفسها من عالم هذه الذوات • ويخلص من ذلك الى قوله : « على أن كانت لم يفصل كل الفصل بين عالم العقل وعالم الارادة أو عالم الحقائق اللدنية • فاننا مع اعتمادنا على المحسوسات والمدركات في تحصيل معارف العقل لا نستغني عن حقيقة أولية تبنى عليها هذه المعارف » •

اذن فالعقاد مع تعرضه للمعرفة الكانتية لم يحتج الى اتخاذ حقيقة أولية أو مبدأ أساسي لليقين من غير الوجود الموضوعي من حيث هو وجود •

ويتساءل بعض النقاد : أي معنى تفيده عبارة غير المعدوم زيادة على الموجود ؟ « أليست عبارة غير المعدوم مرادفة لكلمة الموجود لا مفسر لها ؟ بل أليست كلمة موجود أوضح من عبارة غير المعدوم » ؟

ويجيب العقاد على ذلك : (العقاد : عود الى مسألة العقل بالرسالة العدد ٧٦١ في ٢ فبراير ١٩٤٨) بقوله : « اذا قلت لي ما هي مزية وصفك الموجود بغير المعدوم ؟ فهذه المزية هي أننا نخرج من هنا غير المحسوس وغير المفهوم وغير المدرك وغير المعلوم • فلا ننفي وجود شيء لأننا لا نحسه أو لا نفهمه أو لا ندركه أو لا نعلمه • ويصبح الموجود بذلك أعم وأكبر من أن يلتبس بالمحسوسات والمدركات والمفهومات والمعلومات » •

فالبديهية الأولية التي يشتقها العقاد من طبيعة الوجود تشبه بدائه الرياضيات • ان الموجود غير المعدوم تعني ان مجرد الوجود ينتفي معه العدم • ومجرد انتفاء العدم يحمل معنى الارادة • والوجود مجرد الوجود يقتضي رفض العدم اي ان الوجود من حيث هو وجود يكون مريدا • ان وصف الوجود بانه غير المعدوم يعطي صفة الايجابية لهذا الوجود • ومع

الايجـابية نلمح الارادة ولا نلمح القسر والقهـر . فالارادة هى الوجود من حيث هو وجود . وهى تلتحم بالوجود دون تصميم سابق او اعداد وتدبير . لان مجرد التدبير والاعداد يجعلان الارادة فعلا معقدا او فعلا مركبا . بينما لا يتفق هذا مع طبيعة الأوليات البسيطة المتناهية فى اليقين والبداهة . ومن ثم كان الوجـود . وكونه ـ مجرد كونه ـ يحمـل معنى الارادة .

ولهذا لم يشأ العقاد إن يضيف أى وصف لهذه البديهية الأولية . ولم يتردد فى الاحتفاظ بعبارته أن الوجود موجود والعدم معدوم . لأن الموجود غير المعدوم. ولمجرد الوجود ينتفى العدم. وكل مايطلب من التعريف كما يقـول العقـاد انه ينفى الالتباس ويحصر الصفة . وتعريف الخط المستقيم مثلا هو أنه أقرب موصول بين نقطتين . فماذا نفهم من أقرب موصـول بين نقطتين الا أنه الخط المستقيم ؟ هل تطالبنى بافهامك ما هى النقطـة قبل أن تسلم بالموصل بين النقطتين ؟ » (المرجع السابق) .

والوجود الارادى هـو الوجود الذى لا يحتاج الى حجة أو الى دليل . انه مجرد الوجود وما كان ليكون وجودا لو لم يكن ارادة بمعنى من المعـانى . وهو يتمثـل فى الموجودات بأنواعها الذاتيـة المدركة أو المادية الخرساء . واذا تلاحمت هذه الموجودات القائمة **على صورة احداث فى الزمان أو توزعت فمعنى هذا أن ثمة نظاما . وليست المصـادفة أقرب الحلول ولا أضمن المـواقف . وأحـرى بنـا أمام العوارض التاريخيـة ان نفضـل القـول بالتدبير على القـول بالمصادفة العميـاء . وأحـرى بنا كذلك أن نحسب حساب النوع الانسانى الذى يتجه فعلا من التفرق الى التضامن كما يتجه الفرد من الهوان والضياع الى الكرامة والكفاية .**

فالنوع الانسانى ينتقل فى تاريخه المعـروف من التفرق فى الموقع والمصلحة الى التضـامن فى جوانب الأرض وفى مرافق المصلحة العالمية .

ينتقل من القبيلة الى الشعب الى الدولة الى الجامعة الدينية أو العنصرية الى التوازن بين مجموعة ومجموعة من الفئات الدولية . الى هذا الاشتباك المتلاحم فى سياسة العالم ومواصلاته وعلاقاته الى الوحدة التى أوشكت أن تكون وحدة للكرة الأرضية أمام غيرها من العوالم والافلاك .

وقد يكون دليل النكسات أدل على وجهة التاريخ هـذه من دليل الخطوات المطردة فى طريق التضامن والوحدة فاننا نكتفى بأن ننظر الى كل نكسة من هذه النكسات على حدة ثم ننظر الى حالة العالم الانسانى قبلها وبعدها فنرى على التحقيق ان العالم الانسانى كان بعد كل نكسة منهـا أقرب صـلة وأدنى الى التضامن مما كان قبلها بسنوات . (العقاد : القرن العشرون ص ٩٢ ـ ٩٩) .

ووجهة التاريخ بالنسبة الى الانسان الفرد أوضح فيما يرى العقاد من وجهة النوع كله كما تبينت من الانتقال المتتـابع من تضـامن القبيلة المنعزلة الى تضـامن العـالم الذى تمتنع فيه العزلة على من يريدها .

واهم ما نلاحظه فى هـذا المنحى من التفكير أن العقـاد يفترض الارادة مع الوجود ويرى الوجـود فلا يعرف له سوى دلالة ارادية تصحبه منذ مبدئه . فالوجود له معنى ومعناه لايكتشف فى وسط الطريق. اى ان المصادفة لا تتدافع حتى تستخرج من الوجود دلائله وحوافزه ومعانيه. ان الوجود الارادى يفرض معنى الوجود مع الوجـود ذاته . والمعـانى ليست اكتشافا يلتقطه الانسان مصادفة فى طريق وجوده. وليست المعانى شيئا اجتذبه الانسـان اجتذابا من العدم والخراب .

ونستطيع من ثم أن نقف على جانب من جوانب أصالة العقاد . فالعقاد الفيلسوف الذاتى هو أول فيلسوف عصرى يتحقق من الموضوعية فى الموضوعية ذاتها. ان اشارات الفلاسفة المعاصرين الى الموضوعية تستمد كل مقوماتها وحقائقهـا من الذات المدركة العارفة . أما العقاد فيبث الموضوعية فى الوجود المادى ذاته وفى مظاهـر الأشيـاء والكائنات . انه يجعل الموضوعية موضوعية بذاتها ويضع ثقته ويقينه فى المادة الارادية . وهو يشبه موقف «جاستون باشلار» فى عقلانية المادة حين يفسر الوجود على أساس ارادية المادة . جعل باشـلار من العقل تجسيما ماديا على حين جعل العقاد من الارادة تمثلا فى المادة الموجودة. ان العقل صار تطبيقا ماديا عند باشلار فى حين أن الارادة هى التطبيق المـادى لدى العقـاد . ولذلك فجاستون باشـلار هو صاحب مذهب عقلانية المادة بينما العقـاد هو فيلسـوف ارادية المادة . وبهذا يمكن أن نعرج على مادية العقاد لنكتشف فى ثناياها الروح والذات والوعى الكونى ولنتعرف على مذهب جديد فى المادية الارادية .

عبد الفتاح الديدى

عادل زعيتر

بقلم : كامل السوافيرى

يهتف بي الوفاء ان أذكر علما من أعلام الفكر العربي البارزين الذين طواهم الردى بعد أن اضاءوا آفاقنا ، وخلفوا لنا آثارا لاتطمسها يد الدهر .

يهتف بي الوفاء ان اذكر فقيد الترجمة البارع المرحوم عادم زعيتر الذى لبى نداء ربه في مثل هذه الأيام منذ سبع سنوات ، وأنوه به على صفحات الرسالة التى رحبت بمترجماته واحتفت بآثاره

وقد عرفت الفقيد في القاهرة بعد المأساة التي اضاعت وطنا وشردت شعبا اذ كان يقضى فصل الشتاء فيها من كل عام عاكفا على تصحيح كتبه لتكون مبرأة من كل عيب .

عرفته بعد أن هدت السنون من قوته ، واضعفت من نظره وأوهنت من عظمه ، وبعد ان هدته فاجعة قومه ، واستيلاء مقالة الدنيا على مجاد بلاده .

ولقيته احيانا في الفندق الذى كان ينزل فيه واحيانا أخرى في دار المعارف حيث يجلس في غرفة وينهمك فى العمل ويستغرق فيه فلا يحس بما حوله كانه راهب يتعبد في صومعة . ومن خلال هذه المقابلات والزيارات أتيح لى أن أسبر غور نفسه ، وان اغوص في أعماقها ، وان اقف على جوانب العبقرية والعظمة فيها فازداد اعجابا .

القيت عادل ــ مع سعة اطلاعه ــ جم التواضع لايتحدث عن نفسه ولا عن آثاره ، صريح الراى لا يحب المداجاة والالتواء عف اللسان لم اسمع منه تهجما على كاتب ، ولا طعنا فى مؤلف ولا ذما فى اديب .

وعجبت من أمره حين وجدته يؤثر العزلة ، ويعشق الوحدة وينأى عن المجتمعات ، ويهجر الاندية والمحافل ، ويبغض أن تتسلط عليه الأضواء وحين استوضحته سر ذلك قال : أن عندى رسالة سامية حققت جزءا منها ، وفى انتظارى أجزاء ارجو ان يحتدى العمر لاحققها . فكل ساعة من الزمن لها عندى منزلة ، وكل يوم من الايام له قيمته .

وان أسيت لشيء فلجحود الامة العربية فضل ادبائها وكتابها في حياتهم وبعد موتهم ، ومضيهم الى العالم الآخر كانهم لم يحملوا لنا المشاعل ، ولم يبددوا الظلام .

لم ينل عادل زعيتر فى حياته حقه من الوفاء والتقدير فلم يقم له حفل تكريم ، ولم تعقد له ندوة يتحدث فيها الأدباء عن آثاره ومؤلفاته ، ولم تهد اليه أوسمة ، ولم تقدم له جائزة مع أنه ترجم أعظم روائع الفكر العربي في الادب والتاريخ والفلسفة والتشريع والاجتماع ، وقدم للمكتبة العربية من هذه الروائع مايقرب من ٤٠ مؤلفا .

ولم يلق عادل بعد موته التكريم اللائق به وانى أقترح على وزارة المعارف الاردنية أن تكرم أعلام الادب الفلسطيني من أمثال أسعاف النشاشيبى ، وخليل السكاكينى ، وعادل زعيتر وابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وغيرهم .

وان تخلدهم بشتى الوسائل التى تراها ومن تلك الوسائل تقديم جائزة سنوية فى موضوع من موضوعات الادب باسم كل علم منهم .

ولد عادل زعيتر فى مدينة نابلس بفلسطين فى أواخر القرن الماضى وفى مدارسها تلقى دراسته الابتدائية وانتقل منها الى بيروت حيث تلقى دراسته الثانوية وواصل دراسته العالية فى تركيا وباريس ومن جامعات فرنسا نال أجازة الحقوق وتخرج سنة ١٩٢٥ وعاد الى فلسطين يجيد اللغتين التركية والفرنسية ، وملما بالانجليزية فزاول مهنة المحاماة وعمل استاذا فى معهد الحقوق مدة سبع سنوات يدرس الاقتصاد السياسى والفقه الدستورى وقانون المرافعات الدستورى وقانون المرافعات الجنائية والمدنية ، وفى هذا المعهد تخرج

على يديه ابرع المحامين ، والمع رجال الحقوق فى فلسطين والاردن اليوم .

وفى خلال مزاولته للمحاماة كان يقف الى جانب الحق فلا يقبل قضية من القضايا الا اذا تأكد أن موكله فيها على حق .

واسهم الفقيد فى خلال هذه الفترة من حياته بجهود طيبة فى الميادين القومية والعربية اذ خاض غمار الثورة العربية وكان من أوائل الداعين لوحدة العرب وحريتهم ، والمحاربين الاقليمية والعنصرية والطائفية ، وله مواقف وطنية رائعة ضد الانتداب والصهيونية ، وقد مثل نابلس فى المؤتمر السورى الذى انعقد بدمشق بين عامى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ واعلن استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ووضع أول دستور لها .

وبعد النكبة قدم للمسئولين فى الدول العربية المذكرات القانونية الصريحة الموضحة للسبل الكفيلة بانقاذ فلسطين وصيانة عروبتها .

وفى الشطر الثانى من حياته ترك كل الوظائف ، وهجر كل الاعمال وتفرغ لتحقيق رسالته فى ترجمة روائع الفكر، واتجه للترجمة دون التاليف، لأنه كان يرى أن لغتنا العربية أشد حاجة اليها ، وان مقدمة ابن خلدون أعظم ما الف فى العربية ، وان الغرب قد سبقنا باشواط ولن نلحق بركبه ما لم تستوح اصول المعارف ومناهج الفكر واختار لترجماته أعلاما من ابرز كتاب الغرب ، ولم يقدم على ترجمة كتاب الا بعد اقتناعه بان فى ترجمته خدمة للامة العربية واللغة العربية والفكر العربى .

واختار الفرنسية للترجمة عنها لتمكنه منها ووقوفه على دقائقها وبصره باسرار لغته العربية واحاطته بمفرداتها .

ترجم من آثار جوستاف لوبون الآراء والمعتقدات وحضارة العرب وروح السياسة وروح الاشتراكية وروح الثورات والثورة الفرنسية وفلسفة التاريخ

ومن آثار اميل لودفيج ابن الانسان والنيل والبحر الأبيض المتوسط ومن آثار روسو : العقد



المرحوم عادل زعيتر

الاجتماعى و « اميل » و « أصل التفاوت بين الناس » وعن فولتير كنديد والرسائل الفلسفية ، وعن اناتول فرانس حديقة أبيقور والالهة عطاش .

كما ترجم العديد من مؤلفات ارنست رينان ومونتسكيو ، وسينيوبو وغيرهم .

وله فى الترجمة طريقته الخاصة التى يتفرد بها ويختار فيها الالفاظ المعبرة عن المعنى اختيارا خاصا تتضح به الفكرة ، وتسمو العبارة . لقد كان فى وسع عادل ان يترجم الكتب التى تهدهد الغرائز ، وتثير الجانب الهابط فى النفس فيسعى اليه الثراء ، ويقبل عليه المال ولكن نفسه العالية ، وخلقه الكريم أبيا عليه ذلك .

ان هذا المجهود الضخم الذى نهض به فرد واحد تنوء به هيئات ومجامع ، ومؤسسات ، وان هذا الصبر على البحث والدرس ، والداب على القراءة والترجمة ، يجعلنا ننحنى اجلالا للفقيد الذى خط بعمله العظيم اروع سطور فى سفر الخلود .

«كامل السوافيرى»

أفئدتهم هواء ...!

بقلم : محمد عبدالله السمان

إنّ النيل من الاسلام بحقد دفين ، لايمكن ان يستسيغه سوى كاتب لا يحترم عقله وقلمه ، ويؤمن بان الهذيان والهراء من المستحيل ان يكونا فى يوم من الايام ادبا او ثقافة ، او فكرا حرا ، ولاسيما اذا كان مجال نشرهما مجلات تصدر فى أرض عربية وبلسان عربى ، بغض النظر عن الريبة التى تأخذ بمجامع المؤسسات التى تمولها .

اجل كان من الممكن ان نمسك القلم عن هذا الهذيان ، الذى لم يزد على كونه مهاترة تتطاير فى الهواء دون أن يتردد لها صدى يذكر ، وخاصة اذا كان العبقرى الذى الهم هذا الهراء كاتبا صغيرا ، واذا كانت مجلة « أدب » البيروتية قد لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولحقت بها شقيقتها مجلة « شعر » وهما المجلتان اللتان تسمحان لكل حاقد أن ينفث سمومه على العروبة والاسلام فوق صفحاتهما .

ولكن الذى يحملنا على أن نمسك القلم هو أن هذا الكاتب الذى يعيش فى القاهرة ، ويأتيه منها رزقه رغدا ، ويكتب مقالاته فى مجلات بيروت تحت عنوان : « رسالة من القاهرة » ليقول عن الجمهور العربى :

« فالجمهور غير منصاع اولا ، لانه تقليدى الذهن والعواطف ، وثانيا لان الجريدة والمجلة والمذياع تعرف ذلك عنه ، فتنمى فيه التأخر والجمود ، وثالثا لانه جمهور فقير لا يكاد يملك ما يقيم اوده واود عياله . والناشر تاجر لايعرف الا ارقام الكسب والخسارة ، وهو يفضل أن يصدر الكتب المضمونة اما لشهرة مؤلفيها ، أو لان هذه الكتب تمارس المعرفة الجنسية وهى البضاعة الناجحة فى بلاد متخلفة حضاريا كبلادنا » .

فاذا أردنا أن نربط بين عناوين مقالاته فى مجلة أدب ، وبين ما يكتبه ، لوضح لنا المغزى الذى يهدف اليه ، وهو انه يغمز شعب الجمهورية العربية المتحدة هذا الشعب الطيب الذى آواه فى القاهرة عن رضا ، واغدق عليه عن سعة ، وبسط له فى الرزق ليكيل له السباب فى صحف بيروت . وصحف بيروت وحدها ، انهم يقولون : **ان حرية الرأى مكفولة بل مطلقة ولكنهم يتجاهلون ان هذه الحرية ليست مكفولة ، الا فى حدود التهجم على العروبة والاسلام ، ونحن نضيف الى هذا ان دور النشر فى بيروت ، ترحب بالنشاط المريب الذى تباشره المؤسسات الاستعمارية ، وقد حدثنى صديق اندونيسى ان الكتب والمنشورات التى تتآمر على العروبة والاسلام تفد من دور النشر ببيروت الى اندونيسيا عن طريق بعض السفارات الاجنبية .**

ان منهج الكاتب فى مقالاته التى يكتبها الى مجلة أدب ببيروت من القاهرة تتسم بطابعين ملحوظين : فهو يرفض بشدة أن يكون الاسلام صالحا للحياة مع اعتزازه بالمسيحية ، واليهودية ، ويرفض ثانيا أن يعترف للعرب بأى تراث حضارى ، ولذلك يجب عليهم أن يغضوا بالتواجد على كل ما هو غربى ، فهو يردد كثيرا :

« **الأدب الغربى** أدب له جذور مخالفة لتشكل حياتنا الحديثة ، لأنه يعبر عن حضارة رعوية جافة ظلت لمدة طويلة طراز حياة الأمة الوحيدة التى كان لها كيان نفسى فى تلك الأيام ، والدين الأسلامى ذاته تعبير عن تلك الحضارة الرعوية وتأكيد لها ، **فلم يكن الاسلام دينا بين الفرد وربه ، بل كان تنظيما تشريعيا ، وضعت مواده أصلا لمدينة صغيرة فى الصحراء !**

« وللتوراة فضل أخطر وأجل من ان ينكر فى خلق أجيال عديدة من الشعراء والروائيين وكتاب القصة الطويلة والقصيرة فى الغرب ، على حين كان القرآن تعليميا كله ، ولو افترضنا ان الاسلام ،

وليس المسيحية ـ هو الذى غزا اليونان ، لما امكن بشكله التشريعي ان يدوم طويلا ٠٠ ذلك لانالیونان كانوا مشرعين وفلاسفة واخلاقيين من الطراز الأول، وجاءت المسيحية فسدت نقصا كان ملحوظا فى وجودهم ، وهو فراغهم النفسى من عبادة التوحيد ، اما فى شرقنا العربى فالفلسفة اولا متاخرة عن الدين » ٠

وهكذا بجرة قلم أحمق يلغى الكاتب اية قيمة للاسلام ، ولا يعترف له الا بتشريع جاف وضعت مواده أصلا لمدينة صغيرة فى الصحراء ، وينكر صمود الاسلام حيال الفلسفة اليونانية ، ويثبت للمسيحية قيامها بدور تكميلي لتلك الفلسفة ، وربما أعماه هواه عن أن الفلسفة اليونانية فى مراحل عظمتها أقرت العبودية والطبقية حتى فى جمهورية افلاطون المثالية ـ وجاءت المسيحية لتذعن لهذين الميدانين ، والاسلام الذى جاء بعد ذلك ، هو الذى الغاهما من الوجود ، كما أعماه هواه أيضا عن أن المسيحية لم تتجاوب مع الفلسفة اليونانية كما تجاوب الاسلام ، وها هى ذى الكاتبة الألمانية سيجريد هونكه ـ ومحيي الدين يعتز بكل فكر غربى ـ تقول :

« فالتفكير اليوناني قد بدا لدى المسيحيين وكانه جدير بكل لعنة، لذلك لم يكتف المسيحيون بالابتعاد عنه ، بل اخذوا على عاتقهم تخليص الانسانية منه بالقضاء عليه وابادته ٠٠ اما الآداب الشعبية فلم تستفد شيئا من هذا التراث » ٠

ولا يكتفى السيد الكاتب برمى الاسلام بالجمود والرجعية والتاخر ، وباعتباره عبئا ثقيلا على عاتق الأجيال الحاضرة ، بل يرمز اليه بالتقليدية التى تعنى ان ينحصر الجمهور فى دائرة المعارف الغريزية والذهنية السابقة ، وهى نتيجة أصلية من نتاج التدخل الدينى فى كل شىء ، حيث تسود الكتب الصفراء قوة تحكمية هائلة تنشب مخالبها حتى فى العلاقات الاجتماعية البسيطة بين الناس ، والتى لا تترك للفرد حرية التقرير ، وحرية اتخاذ الرأى»٠

ما شاء الله : هل هناك أمة متحضرة تعيش بدون تقاليد متطورة؟ وهل يزعجك أن يكون الاسلام قد وضع تقييما لسلوك المجتمع وآدابه تتطور بتطوره ، وهل تجهل أن الآداب والسلوك منهج مدرسى مقرر فى سائر المعاهد فى الدول المتحضرة والمتخلفة على السواء ؟ هل تريدنا مجتمعا بوهيميا يسير وفق رغباته واهوائه على طريقة الميكافيلية ومذهب اللذة أو المنفعة ؟ ٠٠

ولا يكتفى السيد الكاتب بأن يقرر بأن تأثير التوراة والانجيل فى القرآن مما لا شك فيه ، وكأن هذا من المسلمات التى لا يحتاج الى مناقشة ،ودونأن يكلف نفسه مشقة تقديم دليل واحد مستحق لمجرد النظر ، بل يذهب الى أبعد من هذا حين يجعل من نفسه حاكما عملاقا ، وطاغية مستبدا القت الأمور اليه زمامها ، فى أزمة خلا له الجو فيها ، فيطالب ـ بصلابة ـ بحرية التبشير الدينى ، وحق الانسان فى تغيير دينه ، وبالا ينص على أن يكون دين الدولة هو الاسلام ، ومعنى هذا أن السودان لم يكن له ادنى حق فى طرد المبشرين من جنوبى السودان حتى ولو كانت مهمتهم اثارة الفتن والقلاقل فى بلده ، وتنفيذ المخططات الاستعمارية المشئومة ، أما مطالبته بالا يكون الاسلام دين الدولة فعواء فى الهواء لا يستحق ردا ٠

ومادام الكاتب مصرا على أن الاسلام لا يقوم مقوما حضاريا ، وأن العرب لن تقوم لهم قائمة الا اذا تتلمذوا الى مستشرقى الغرب والحاقدين على العرب وأن الفكر الغربى مقبول عنده على العين والراس ، فلا أقل من أن نشير الى آراء بعض المفكرين المعتدلين الذين يجب أن يدين لهم بالطاعة والولاء ، فى الاسلام ٠

يقول تولستوى : مما لاريب فيه أن محمدا من عظام الرجالالمصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وفتح لها طريق الرقى والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوة » ٠

ويقول برناردشو : « **يجب أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله سياسة العالم لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى اشد الحاجة اليهما » ٠**

ويقول جوستاف لوبون : « اذا ماقيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم ، كان محمد أعظم من عرفه التاريخ » ٠

ولا يجد هذا الكاتب أى وخز لضميره وهو يستبيح لنفسه التجنى على التاريخ ، فينكر على

العلماء العرب أمجادهم ، ولا يعتبرهم الا كسعاة بريد قاموا بمهمة ترجمة العلوم وايصالها الى أوربا، وحتى لو كان كل دورهم هو هذا ، فيجب أن نسجل لهم فخرا بمهمتهم ، وها هو ذا سارطون العالم الامريكي يقول : لو لم تنقل الينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون ·· ولذلك فان العرب كانوا أعظم معلمين في العالم خلال القرون الثلاثة : الثامن والحادى عشر والثاني عشر » ·

ولم يقو علماء الغرب على انكار فضل العرب كما تبجح هذا العبقرى ، وها هو ذا ماكس مايرهوف يقول : ان العرب أسدوا جليل الخدمات الى هذا العلم الذى تتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامى » ·

ان القول بأن الاسلام أصاب المنطقة العربية بالعقم قول لا يجرؤ عليه الا متبجح لا يقيم وزنا للمقاييس العادلة ·

فالاسلام فى بداية تشريعاته نقل الجزيرة العربية من جاهلية مغرقة فى الضلال والسفه الى أمة متحضرة فتحت فارس والروم بعد أعوام معدودة من اسلامها، زاحت عن كاهل شعبيهما ما كان يرزح تحته من تشريعات جائرة ، لتحل محلها تشريعات أقرت لأول مرة فى التاريخ الاعتراف بحقوق الانسان ·

وكيف يصيب الاسلام أية منطقة بالعقم ، وقد جاء بتشريع يقوم أساسا على المرونة والتطور ليحقق مصالح الناس ·· ؟ اذ ليس من المجهول أنه فى الوقت الذى قامت فى الحجاز مدرسة الحديث التى كانت تقف عند النصوص ، قامت فى العراق مدرسة أخرى هى مدرسة الرأى ، لتقيم بناء الاجتهاد المطلق على أساس من التفكير الحر لرعاية المصالح أولا ، وهذا مما لم يعرف فى شتى التشريعات السابقة على الاسلام ·

ان الامام الشافعى كان له مذهب فى العراق ، ومذهب آخر فى مصر ، لاختلاف البيئتين ، ووجدت المذاهب الأربعة وغيرها ، وما ذلك الا لمرونة التشريع الاسلامى وقابليته للتطور ·

ان من الأصول التشريعية قواعد الاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والضرورات تبيح المحظورات ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله ، والمصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة ، ورعاية العرف على شروط خاصة، وهذه القواعد التى تميز بها تشريع الاسلام عن سائر التشريعات فى معظمها أوضح دليل على أن الاسلام دين متطور يواجه الحياة أيا كان لونها ومنهجها ·

واذا كان ثمة تخلف فى بعض البلدان الاسلامية فى وقتنا الحاضر ، فليس الذنب فيه ذنب الاسلام، وانما ذنب العقليات الاسلامية **المتخلفة** التى أصابته بالركود ، وجعلت تشريعه فى حالة ركود ، بعد أن ظل زهاء أحد عشر قرنا يتعامل مع حياة الشعوب الاسلامية فى أوسع نطاق من السماحة والمرونة ·

ان مؤلف كتاب « الحضارة الانسانية » حين قال : «ان القرآن لم يحسب حساب تطور الانسان» لم يكن لديه اثارة من علم بالقرآن ، القرآن الذى وضع القواعد الأساسية لبعض النظم ، وترك البعض الآخر حاسبا حساب تطور الانسان نفسه ، وفى مقدمة هذه النظم نظام الحكم مثلا ، الذى واجهه المسلمون عقب وفاة الرسول مباشرة ، فقد اكتفى القرآن بالقواعد العامة كالشورى والعدل ، تاركا منهج النظام نفسه للناس يكيفونه حسب بيئة الزمان والمكان ، لأنه كان يحسب بالطبع لتطور الحياة والانسان حسابه ·

وبعد ··

فالفكرة السائدة عنا ـ نحن العرب ـ وهى أننا قوم كرام مع ضيوفنا ، يجب أن تكون لها حد تقف عنده ، وخاصة مع كاتب يبعث بمقالاته الى مجلات بيروت بعنوان : « رسالة من القاهرة » ليقول عنا ، وهذا نص كلامه فى العدد الثامن من مجلة « أدب » :

« **ان التقليدية** عبء ضخم يركب فوق كتف الشاب ، أما الكتف الأخرى فيقبع فوقها الطغيان ، وهو أحد الآفات القطيعة المخجلة والمجرمة التى تتردى فيها بعض بلدان الشرق العربى ، تسود فى البلد الواحد وجهة نظر فردة ولا ثانى لها ، حيث تسخر كل امكانيات شعب بأكمله : باذاعته وصحفه ومؤسساته الاعلامية ، وكتبه ومجلاته الأدبية بترديد الأفكار الحكومية وبثها ونشرها بكافة الطرق والوسائل ، أما وجهة النظر الفردية البسيطة لكاتب صغير ، فالدولة تهلل وتقلب الدنيا لمنع نشرها وصدورها وتحاربه بكل ما تملك من قوة للسحق والتدمير ·· »

مثل هذا الكاتب لا أقل من أن نقول له بأدب : يجب أن ترحل عنا لتتقايا أحقادك على العروبة والاسلام والبلد الكريم الذى أواك وأكرم مثواك ، فى بيروت أو حتى فى بلاد واق الواق ·· !

محمد عبد الله السمان

قصة الجلاء

للشاعرة : روحية القليني

أختاه فجرى اليوم أشرق بعد ليلات ذليله
ولكم تجرعت الأسى بمرابع الوطن الظليله
الخير فى بلدى على الضيفات فى حضن الخميله
والنيل يجرى بين أسوان وقاهرتى الجميله
تتفرع القنوات منه فترتوى أرضى الأصيله

والطفل فى مرح الطفولة كم جرى يلقى زميله
ليقص ماضى جده الفلاح أحقابا جليله
قصص الكفاح مع الاباء وكل ما فيهم فضيلة
والأم كم سهرت وكم عانت لكى ترعى الطفوله
وسنابل القمح التى رقصت مناجية نخيله

والناى فى صمت الدجى يحكى ملاحمه الطويله
والجار يرعى جاره وينير فى صدق سبيله
وعلى الوفاء تجمعوا فى ظل انسام عليله
الدين هاديهم وفى أخلاقهم مثل نبيله

لا حقد فى قلوبهم فالحقد عندهمو رذيله
عاشوا على الحب الأصيل وما ارتضوا عنه بديله
حتى أتانا طامع فى أرضنا بخطا ثقيله
لم يرضه حلو الوئام فراح يبحث عن وسيله

فى أن يفرق شملنا بوسيلة تشفى غليله
والخير فى جشع يجمع من نبات الأرض غيله
لم يبق للفلاح ما يقتاته حتى قليله
لم يرحم الطفل الرضيع أجل ولا رحم الكهوله

ضاقت بنا الأرض الرحيبة كم تمنينا رحيله
أقسمت بعهد الله بالأرض العزيزة أن أزيله
فتجمع الشمل الكريم له يدبر كل حيله
فى ليلة قدسية قد أقسموا قسم الرجوله

ان يفتدوا الوطن العزيز بروحهم بدم البطوله
أن يرجعوا عش الهناء ويسكتوا فيه عويله
أن يبطشوا بعدوهم أن يخنقوا فيه فضوله
أن يحكم الشعب الحمى فنعيد للوادى أصوله

شهداؤنا الأحرار ضحوا بالأمانى الجميله
ليعيش واديهم عزيزا لن نرى وطنا مثيله
ستصب سوط النار فوق عصابة البغى الهزيله
يوم الجلاء تمرد الباغى فحطمنا فلوله

مشاعر بلا نافذة

للشاعر : إسماعيل الصيفي

يا الهى ..

قد حملت المعبد السامى بقلبى ... ومشيت
ودعانى القوت فى كل فلاة ، فسعيت
وغشيت السوق كالناس ، وباعوا واشتريت
ثم لما هدنى الجهد .. الى ظل أويت
اسأل المنديل عن أى اللقيمات اقتنيت
واذا الآفاق ترتج بلحن .. فانتشيت
واذا صوت ينادينى نداء ... فصغيت :
« أنت ياصيفى فى الأرض نبى » فارتقيت
هزنى فرحى ، فقهقهت جنونا ، وبكيت
وتجنبت لقاء الناس حينا ، وانطويت
بت أهذى : « كيف أهدى أمتى ؟ » حتى اهتديت :
هذه الريشة تدرى من شعورى مادريت
فلأضمن لوحتى أسرار هدى قد حويت
ثم لما انتهت اللوحة ، أو قلت : انتهيت
وازدهانى أننى استرعيت سرا فرعيت
صعق الطاغوت لوحى ، فرماه وارتميت
سامنى أن يشترى منى فنى ، فأبيت
أترى أسطع ؟ أم لم يبق فى القنديل زيت ؟
أى هدى كدت أزجيه فغالته الدواهى ..
.. يا الهى ؟

يا الهى ..

ولقد أبصرنى والروح شوق والتياع
يوم أن يدعونى للموت داع أى داع
فلقد تدمع روحى ... للبناء المتداع
حين تهدى كل عضو قبلة قبل الوداع
كان سجنا عرفت فيه ارتقاء واتضاع
وبه دنسها الاثم ... ورفت كالشعاع
ولقد تؤذن أن تدرك سرا لا يذاع
حينما يكشف للروح عن الله .. قناع
فيكون الشوق ملاحا الى تلك البقاع
ولقد تطمع روحى ، وهى فى ذاك اليفاع
أن يرى الناس رؤاها عند اقلاع القلاع
فتنادى .. فاذا الصيحة فى جسمى ضياع
ثقلت كفى ، فما تمتد كفى لليراع
ثم لم ينشط لسان كم دعته .. فاطاع
ثم تاهت نظرة .. ضاعت ، وتاه السر ... ضاع
ثم لم يبق على خدى سوى دمع الوداع
ثم ألقاك بسر لم تردده شفاهى
يا الهى

رسالة الوداع

قصة بقلم : حبيب الزحلاوي

هل انا مخطئة ؟ هل انا مذنبة ؟

سؤالان كنت ارددهما في ذهني طوال رحلتنا بالطائرة التى حملتني وعريسي من مطار القاهرة الى بيت الزوجية بامستردام .

اجل انا مخطئة نحوك يا امي العزيزة ، ومذنبة ايضا .. وبودي ان يكون اعترافي وسيلة للصفح عن ابنتك الوحيدة التى اخطات بعمد واذنبت باصرار .

لم اقصد الاساءة الى امي الحبيبة حين اخطات ، ولا العقوق باقدس مخلوق عندي هو انت ، ولكنى رجحت كفة ميزان زواجي وهو مسالة تخصنى وحدى ، وقد قدمت مصلحتي الذاتية على ما سواها من مصالحك انت .

لقد نظرت الى مصلحتي بعين المستقبل بعد ان بلغت الثلاثين من عمرى في حين نظرت الى زواجي انت يا امى الحبيبة بالعين الواحدة الى مصلحتي انا وبالعين الثانية الى مصلحتك انت ، نظرة الخائف المرعوب ، نظرة من تحس انها تهرول في طريق الشيخوخة ، والفراق الطويل ، والبعد البعيد ، والوحدة والوحشة . ويؤسفني بل يحزنني ان اعترف لك باني آثرت البعاد عنك بدافع من حب الحياة وهو اقوى من حب الوالدة الحبيبة .

كان حبي للغريب الذى لقيته عفوا في حلبة الرقص حبا غريبا . وقد شعرت منذ النظرة الاولى بان جوارحي تفتحت له ، واحسست حين راقصته بان خلجات نفسي تراقصه بحنان وعطف واشتياق ، وقد ادركت ، ولا ادرى كيف ايقنت من اعماقي بانه يبادلني الحنان والعطف والحب ، في حين اني لم اره سوى مرات قليلة قبل ان يطلب يدى .

عرفت من هذا الغريب انه من فرقة الأجناد المنتسبة الى هيئة الأمم المرابطة على الحدود التى تفصل بين مصر وفلسطين المحتلة وان المدة الباقية لاتمام خدمته العسكرية قليلة جدا ، وانه يشغل مركزا في مصنع ببلده ، وان والديه في حالة من اليسر وانه يكون من اسعد السعداء اذا قبلت أن اكون زوجة له ، وان امه واباه سيحبانني قدر ماهو يحبني .

نظرت طويلا يا امي الى هذا الغريب الطارىء ، الأزرق العينين والشعر الأشقر ، والبشرة البيضاء الزاهرة ، والى شفتيه تتحركان وكانهما تبتسمان وتتوسلان ففكرت ، اول ما فكرت ، هل من المستطاع ان البي عرض هذا الطالب واترك امي الحبيبة واطيق البعد عنها ؟

لقد الجمني هذا الفكر الطارىء عن الرد الصريح ، وكبحت بتعقل جماح نفسي عن الاسترسال في هذا التفكير الذى صد اندفاعات النفس وقد تراخت مستسلمة حين سماعها كلمة الحب والزواج ، وقلت له اني سافكر في الامر واستشير امي وهي كل مالي في الوجود .

لا اذكرك بكل ما دار من حديث بينك وبيني يا امي الحبيبة حينما فاتحتك بامر هذا الزواج الذى رضيته نفسي وقد علقته على استشارتك اولا ، ثم على رضاك عنه ، ولا كيف ثارت ثائرتك على ذلك الغريب ينتزعني منك ، هذا الغريب الذى لانعرف مبلغ صدقه فيما قال ولا حقيقة حاله فيما ادعى ، ولا كيف أعربت عن عدم رضاك عن البعد عني وتركي اياك وحيدة وقد هجرك ابي واصطحب ابنك البكر الوحيد الذى كنت تقدرين انه سيكون لك سندا ومعينا ، وقد استانست بي وقنعت بالقسمة الاقل لاكون عونا لك في شيخوختك ، وكيف دعوتني الى ايجاد شاب يعيش معنا في هذا البلد الذى استوطناه كان القدر الذى تعبر عنه «بالقسمة والنصيب» يميز بين الغريب والقريب .. لا اريد ان اذكرك ياامي الحبيبة باحاديث كانت تدور بيننا هادئة يسودها العقل تارة وتارة اخرى تعصف عواصفها وتثور زوابعها ، لانصل في النهاية الى راي ولا نفصل في امر .

لا اذكرك يا امي بحديث طويل لك عن زواجك من ابي وكيف اقبل على البناء بك وقد كنت مع المهاجرات والمهاجرين الذين حملتهم السفن الانجليزية من اليونان التى اغار عليها الألمان بجحافلهم بعد ان عجز الجيش الايطالى عن الانتصار على شعبكم الباسل ، ابان الحرب العالمية الثانية ، وكيف حطكم الانجليز في معسكرات لا تليق بكرامة الانسان الى اخر تلك الحكاية التى بدات بتعرفك على ذلك الضابط الوسيم وقد تزوجتما ورزقتما اخى البكر وانثى هي انا التى احبك ، وقد ازمعت على فراقك وكيف انتهى بعقدة نفسية كانت مثارا لخلاف دائم بينكما الى الحد الذى اضطر والدى الى حمل اخي وقد سافرا الى مكان مجهول وقطعا كل صلة لهما بك ، ولا احسب مطلقا يا امي الحبيبة ان والدى نسيني او محيت من ذاكرته .

لا اريد تذكيرك بمآسيك ومآسي والدي المسكين ، ولا الاسباب التي اجبرته على الهرب منك ، ويكفي ان اقول ان الاحداث على انواعها تنطبع على ذاكرة الطفل وتنمو وتتوضح وتبدو معالمها مع تقدم السن وبلوغ الادراك ، وقد لا اكون ظالمة لك لاني كنت اسمع شكاياتك من ابي منذ كنت في السابعة من عمري حتى بلغت الثلاثين ، وقد كنت اولا تلك الشكايات وامضغها وازدردها كما كنت استرجعها واجترها ، ولكنى ما هضمتها مرة ولن اهضمها لان الحق دائما كان في جانب ابي وكان هو المفترى عليه .

اني استغفرك يا امي الحبيبة وارجو منك ان تسامحيني على جراتي وقد وقفت هذه المرة فقط الى جانب والدي الذي احبه وطالما ناجيته وتوجهت بروحي اليه . لقد وقفت بجانب حق ابي الذي رضيت انت بهاليكونلك زوجا ينقذك من الحاجة والفقروما يلابسهما ايام الحروب ، وقد كنت في ذات الوقت موتورة من قومه الانانيين ، معقدة النفس من ازلهم وغطرستهم ، وزرايتهم بمن حملوهم من قومك وابعدوهم عن وطنهم والقوهم في معسكرات مصر الجديدة للخدمة والسخرة والترفيه ، هذه الحال هي التي اذكت فيك نار حب الانتقام ولكنك ايتها الام المسكينة رميت بزوجك وهو فرد بين قومك وقد احبك وتزوجك ولكنك انتقمت منه كانه هو الكل فجنيت عليه وعلى نفسك بغير ماروية او تعقل ثم بالتالي على ولديك البريئين .

مسكين ابي ، لقد كنت اراه يبكي من قسوتك ، من عنادك ، من تصرفاتك وكاني اراها راى العين والعقل فاعذره في خطف ولده الذي احبه كما اعذره في تركه لي اقاسي معك ما قاسينا واعاني ما عانينا سويا ، مسكين اخي فهو يقاسي ولا شك مرارة حرمان حب الأم وحنانه .

امي الحبيبة .. ان في ذاكرتي نقطا كثيرة هي صور لاكثر الأحداث ، وفيلما سينمائيا ناطقا للخصومات التي شجرت بينك وبين ابي ، ان تلك النقط المتناهية في الصغر الراسبة على لوحة ذهني ، كنت اكبرها واعظمها كما يفعل المصور ، وكانت تتجلى لي واضحة من جميع جوانبها ، وما من جانب قط او زاوية من زوايا تلك الصور الذهنية تحمل والدي وزر خطف اخي والهرب به وتركه لك ولي .

لقد تجرات فقلت لك يا امي الحبيبة بعض ما اعرفه من مأساة حياتك ، ولهذا اطلب صفحك عني على ما تجرات وقلته في تصرفاتك في حياتك الخاصة ، تلك الحياة التي فتحت عيني ونبهت ذهني فصرت ارى الامور على حقيقتها واقدر ، وانا في هذا السن ان لابد من تدارك الخطر وتقويم المعوج ، وقد فعلت لقد عقدت زواجي الديني والمدني واصبحت زوجة شرعية امام الله والناس ورفيقة حياة زوجي على الخير والشر ، لقد عجزت عن اقناع زوجي بالمعيشة معنا في مصر والعمل فيها ، والكنه اسكتني بتذكيره لي بوصية السيد المسيح بان تترك الفتاة امها واباها وتلحق بزوجها لان الذي ربطه الله لايحله انسان .

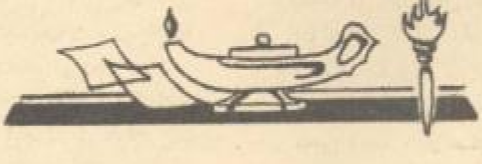
لقد طغى الحزن على نفسي يا امي حين رايت مكانك شاغرا وانا وقفت عند هيكل الله ساعة عقد قراني ، كذلك بكيت حينما وقفت امام مسجل العقود اوقع عقد زواجي بغير رضى امي .

لقد صممت يا امي على الا اقتدى بك في حياتي الزوجية .. وعقدت النية على سلوك مسلك الفتاة التي هذبها الالم ، وعرفت الحياة ، وقاست التجارب ، لقد قررت مماشاة روح الفتاة المصرية التي تسابق الزمن وتتقدم طامحة في كل مجالات الحياة .

لقد عزمت على ان اكون زوجة واما وصديقة لزوجي ، اراقب ميوله ، اراعى مزاجه ، اتجنب ما يزعجه ، اشاركه فيما يسمح لي بمشاركته ، اضحكه اذا عبس ، اسليه بنوادرى اذا صمت ، اضع وجهه في وجهي اذا سرح ذهنه ، اذكره بمواعيد طعامه ورقاده ، هذا اذا كان عالما بحاثة او روائيا او مخترعا ، اما اذا كان من رجال القضاء والقانون او من كتاب المؤسساتوالبيوتات المالية او صانعا او تاجرا او عاملا فاني ساجاريه في احاديثه ولا اتفلسف في ابداء الراى او الاعتراض عليه ، واظهار الشخصية ، وان زوجي ولا شك ، سيعاملني بالمثل ، وباكثر من المثل لان الرجل في طبيعته كريم .

قد تضحكين ، ياامي الحبيبة من تفكيري هذا وقد تقولين مزاين لك هذه التعاليم وهي غير مالوفة في قوم ابيك الانجليزى وامك اليونانية ؟ فاقول لكان المدرسة المصرية علمتني، والهيئةالمصرية اقلمتني ، والثورة المصرية هذبتني ، ثم تعلمت من قراءة القصص ان المراة حمامة جناحها زوجها ، ولا حياة لها بغير جناح وان الزوجة حمامة ايضا وديعة طيارة ، متينة الخوافي ، قوية القوادم ، يطيب لها التجول والتحليق ، والويل كل الويل للزوجة التي تنتف ريشة واحدة من جناح زوجها فيهيض ويعجز - الى حين - عن الانطلاق في فضاء الحياة الزوجية المقدسة وداعا يا امي الحبيبة .

حبيب الزحلاوى



لا تكذبي ..

(ديوان كامل الشناوي)

بقلم : عبد الرحمن البجاوي

فى الشهر الماضى استقبلت المكتبة الأدبية العربية مولودا جديدا طال انتظاره فترة كبيرة ، هذا المولود السعيد الذى يستحق منا كل ثناء واكبار ، هو ديوان الشاعر الصحفى المبدع الأستاذ **كامل الشناوى** .. الذى طالما تمنى قراء العربية هنا وهناك أن يطلق سراح قصائده ، ويخرجها الى النور، بعد أن استمتعوا بقراءتها موزعة على صفحات الصحف والمجلات ، وبعد سماعها على موجات الأثير فى فترات مختلفة ، بل ان الكثير منا ليحفظ قصائده الغنائية التى يشدو بها عبد الوهاب ، وام كلثوم ، وفريد ، وعبد الحليم .

وكامل الشناوى شاعر فنان من شعراء العربية المبدعين، الذين يعانون معاناة حقيقية لكل مايحسون به من تجارب انسانية .. شاعر يقدر مسئولية الحرف ، ويودع قصيده كل مشاعره وخفقاته ، وقد وصفه البعض بأنه من الشعراء الذين يقولون الشعر « بالقطارة » . ولا غرابة فى هذا اذا علمنا أنه لم يفكر فى جمع شعره الا فى هذا العام ، كما أخرج فى نفس العام كتابه الأول (لقاء معهم) الذى أودعه كل احساساته كفنان ،وضرب مثلا رائعا فى الترجمة الأدبية للشعراء والكتاب والفنانين .

وها نحن نستقبل ديوانه **لا تكذبى** الذى سماه باسم أول قصيدة أحدثت دويا هائلا فى البلاد العربية وأثارت تعليقات كثيرة من الصحفيين ، والنقاد ، ورجال الدين !!

ويحدثنا الشاعر فى الصفحة الاولى من ديوانه حديث الناقد الفنان الصادق الذى تأثر بمختلف المذاهب الأدبية ، ونهل من معينها الصافى حتى استطاع أن يعطينا صورة مستقلة لروحه الخفاق ، وقلبه النابض .. صورة لونها شعوره ووجدانه ، فلا يمكنك أن تحكم عليه بأنه رومانسى ، أو واقعي، أو طبيعي كما قال : « لا تحاول أن تنسب هذا الشعر الى مدرسة فنية بذاتها كالواقعية ،والرومانسية والطبيعية ، فهو متأثر بهذه المذاهب جميعا ، ولكنه لا يتقيد بمذهب واحد منها .. ان فيه واقعية تعبر عن تجربة ما ، وفيه رومانسية تحلق فى الخيال ، وفيه طبيعية حرة لا تقف عند ما هو كائن ، ولكن تتحرق شوقا الى معرفة ما وراء الطبيعة !

والظاهرة الأولى التى نلمسها فى الديوان هى : حرص الشاعر على الدقة فى التعبير ، وانتقاء الألفاظ العذبة الموحية ، فحينما تقرأ قصيدة من قصائد الديوان تجد كل لفظ يخدم الفكرة ويطورها تطويرا ناميا ، ولا يمكنك أن تستبدل لفظا بآخر ، وهذه قدرة الشاعر الحق الذى يحس بجرس الكلمة وظلالها وشفافيتها وايحاءاتها والذى يقدر على أن ينقل تجربته بصراعها النفسى وانفعالها المؤثر الى العالم الخارجى . ويكفى ان تقرأ احدى قصائد الديوان لترى صدق هذا بنفسك ، وان كان من الملاحظ عامة استخدام الألفاظ التى تدور حول معنى الحب ، كالفراق ،والهجر ، والغدر ، والجحود، واللقاء .. كما تجد الكلمات الصاخبة المؤثرة التى تنقل انفعال الشاعر سريعا كان أو هادئا رزينا .

الظاهرة الثانية هي : وضوح الجانب الموسيقي في الديوان ، ذلك الجانب الذي كثيرا ما اهتم به الشاعر وعبر عن هذا بنفسه في المقدمة اذ قال : « والشعر رقصة عاطفية وعقلية ، ولا بد للرقصة من موسيقى تصاحبها ، وتقودها ، والا صارت خطوات ملتوية ! وهذا يشبه ما قاله (ماليرب) الذي شبه النثر بالمشي ، والشعر بالرقص وهو تشبيه دقيق يظهر الفارق الكبير بين الفنين · ويلاحظ كذلك اهتمامه بالموسيقى الداخلية للأبيات وتناسبها ودقة ايقاعها مثل قوله :

ثم كانت صحوة كالنار ، كالتيار

·· كالقدر العنيد !!

ايقظته ، بعثته ، خلقته

من جديد ، من جديد

وفي مثل قصيدته (أنا الشعب) نجده يكثر من حركات المد التي تعتبر عنصرا من عناصر الايقاع اللفظي ، واقرأ معي هذين البيتين :

على باب مصر ، تدق الاكف ، ويعلو الضجيج

جبال تدور ، رياح تثور ، بحار تهيج

فلا شك أنك تحس بما ينساب فيهما من موسيقى دافقة ، وايقاع يتوالى في البيت الثاني خاصة · وفي غالب أناشيد الشاعر نجده يحرص على الايقاع والانسجام اللفظي والمعنوي للكلمات كما في (نشيد الحرية) مثلا :

ولكني وجدت في صفحة ٢٥ هذا البيت القائل :

لا تثر لي ذكرياتي ··

انها شيبتني ···

·· شيبت حتى صبايا !!

وأحس بنشاز واضح في قوله « انها شيبتني » ويخيل الى أنه « انها قد شيبتني » وهنا ينسجم البيت مع باقي القصيدة ·

الظاهرة الثالثة من جهة الصورة الشعرية ، فنجد الشاعر يعنى بالاطار العام للصورة ، وجزئياتها وترابطها ، ورسم الصورة متحركة أو ساكنة ، كلية أم جزئية كل هذا في براعة ودقة · ومن الصور الكلية التي رسمها الشاعر هذه الصورة التي تصور لنا (جميلة بوحيرد) وهي في السجن ، بعد أن صور الجو النفسي لهذه الصورة في مأساتها كانسانة وديعة عذراء وسط هذا الجو الرهيب ، فهو يقول :

الراس محني على الصدر
والصدر منتفض بلا ذعر

وتكومت في الركن صاعقة
محمومة بالويل منقضة

كيد تلوت كفها غضبا
وتقوست ،فتحولت قبضة!!

واما الصور الجزئية فتتمثل في الالوان البيانية وهي متناثرة يلحظها القارىء في قصائد الديوان ·

وأهم ما يميز الديوان الصدق الفني الذي يعتبر محور التجربة الشعرية ،فحين يصور الشاعر تجربة ما نجده يعبر عما يحس به وما يعتقده ، وينقل الينا انفعالاته في قالب قصير اذا كانت حادثة متأزمة ، وفي قالب كبير اذا كانت عادثة عميقة ، ولنقرأ قوله في قصيدته « قلبي » :

أكيف يا قلب ترتضي
طعنة الغدر في خشوع ؟

وتداري جحودها
في رداء من الدموع ؟

لست قلبي وانما
خنجر أنت في الضلوع !!

فهو يصور مقدار ما يقاسي هذا القلب الذي لا يكف عن الحنين والتذكار ، والذي لم يزل نابضا بحب حبيبته ، رغم ما أصابه من غدر وجحود، ورغم أن كبرياءه تحطمت ···

أو تدري بما جرى ؟
أو تدري ؟ دمي جرى

جذبتني من الذرى
ورمت بي الى الثرى !!

اخذت يقظتي ولم
تعطني هداة الكرى !!

وتتغير حال الشاعر فتصبح « لا ظلام ولا سنا » كما يتغير هو نفسه ·· ونجده يصور ما يقاسي من هذا الحب الذى يصطلي بهجيره ·· وهو دائما يحتكم الى عقله الذى يشاركه فى كثير من المواقف العاطفية ولكن قلبه كان يسير فى طريق عكس ما يصور عقله ويعترف أخيرا فى قصيدته بقوله :

دمرتنى لاننـــى
كنت ـ يوما ـ احبهـــا

والى الآن لم يزل
نابضـــا فيك حبها !!

لسـت قلبى انا اذن
انمـا انت قلبهـــا !!

ونجد الشاعر لا يجرح كبرياءه أمام امرأة ، بل انه دائما ليتعالى ويشمخ كبرا وسرعان ما يجـد من يجذبه من عليائه ويشده الى الواقع المشهود ، كما نجده يقاسى آلام حبه ، ويدور فى صراع نفسى بين عقله وقلبه ·· عقله الذى لا يسمح لكبريائه أن يذل ويضعف ويهون ، وقلبه الذى لا يســتجيب لمنطق العقل ، بل ينطلق دونما شعور وارادة ·· وفى قصيدته « لست أشكو » نجده يصور هذا الصراع النفسى الذى ينتصر فيه القلب على العقل فيقول :

جـراتى راحت ولا اعرف اين ؟
بسـمتى ضـاعت ودمعى بين بين !

·· الهوى خجلان دامى الوجنتين !
وحنينى لك مكتوف اليدين !

انا لا اشـكو ففى الشـكوى انحناء
·· وانا نبض عروقى وكبـرياء ··

وهذه الفكرة تقابلنا كذلك فى قصائده «لاتكذبى، لا وعينيك ، عيناك ، لست عبدا ·

ومن الحق أن نذكر أن شاعرنا ـ كما قال ـ متأثر بالرومانسية فى بعض قصائده مثل « آمنت، بدرى ، أحب الجمال » ويعتبر امتدادا لعلى محمود طه ، ناجى ، وبعض شعراء أبولو الذين يحلقون فى ســماوات الخيال ، ويجرون وراء العاطفة التى لا تقف عند حد ، ويعشقون مظاهر الطبيعـة التى يرون فيها افتتانا يبعث على الهرب بهم من واقعهم المؤلم ·· وفى قصيدته «بدرى» نجده يناجى الكوكب السارى فى أعماق الليل ، ويسأل عن محبوبه الذى ينثر من أجله الدموع والأشعار فيقول :

بدر الســما، هـل رايت بدرى ؟
وكيف تلقاه وضيء الثغر ؟

وهــل تراه حافــلا بامرى ؟
مقدرا لأدمعى وشــعرى ؟

ويسائل الروض كذلك عن طائره وإلفه الذى ولى ولم يعد ، ولا يلبث فى نهاية القصيدة أن يدعو الله ـ من حرقة قلبه ـ أن يعذب حبيبه الذى عذبه وآلمه ·· فيقول :

يارب عذب بالهيــام قلبـه
وزد على مر الليـال حبـه

ولا تفرج بالبكـاء كربه
لعله يرحم من احبــه

فلا يذيب بالحنين جنبــه
ويترك الولهان يقضى نحبـه

وشتان بين قــول (كامل الشناوى) فى هذا المقام ، وبين الشـــاعر القديم الذى دعا على حبيبته بالموت حتى يسلاها بعد يأس !!

ومن المشاهد الواقعية التى تواجهنا فى ديوان (لا تكذبى) هذه الصورة التى رسمها الشاعر لبعض الحوادث اليومية التى تعرض له ، وقد صورها فى بساطة وعمق وصدق ، تصوير شاعر أحس ببياض لمته ، فحـاول أن يجدد شـبابه فقال فى قصـيدة عنوانها (فى الكافتيريا) :

مرت بنــا كالطيف تســالنا
مــاذا نريد ، فقلت بالصمت

ودنت لتســالنى على حــدة
عما أريد ·· فقلتهـــا : انت !!

الى أن يقول :

انا يا صـبية شـاعر هـرم
قد جاء يستوحى الشباب هنا !!

. ويعترف بانه لم يكن مندفعا الا بدافع تجديد الالهام والوحى الذى أحس بانقطاعه فترة كبيرة ، فحاول أن يصل ما انقطع ، ويجدد ما اندثر .. ولننظر ماذا حدث ؟

فافتر ناظرها ومبسمها

وقصيدتى ما زلت أنظمها

.. واظل طول العمر انظمها

وفى نهاية الديوان تجد للشاعر قصائد أربع فيها حدة وصراع نفسى عنيف بين انسان تؤرقه الأشواق الحبيسة التى تتطلع الى المجهول .. الى ما وراء القبر .. الى العالم الآخر .. وليس الشاعر متشائما فى هذا كما يظن ، بل انه ليسأل سؤال المتحرق شوقا الى المعرفة الى النهاية .. وفى قصائده « الى أين ، ثم ماذا ؟ ، أنا ، يوم مولدى » نجد الاستفهامات المروعة تواجهنا بشدة .. ويتساءل الشاعر فى تفكير وهدوء عميق قائلا :

الى اين نمضى ايها الدهر ..

بعد ما نصير هباء ..

.. لا ضجيج ، ولا صمت ؟!

وينسل منا الحب والخير والهدى
وينسل منا الشر والغى والمقت

الى أن يقول :

وفى اى يوم نلتقى بهمو ؟ اجب !!
فقد هدنا شوق ، وعذبنا كبت

وكان الشاعر أحس بأن البعض سيقول انه متشائم ، فدفع هذا الظن بقوله :

« لا تتهمنى بالتشاؤم لأن بعض ألفاظى حزينة ، وبعض تعبيراتى مقطبة الجبين .. فما دام الموت يتعقب حياتنا ، وما دمنا لا نعرف من نحن ؟ فان المجانين وحدهم .. هم الذين يضحكون للحياة ، ويسمون ذلك تفاؤلا ... »

هذا عن النظرة الى ما وراء الطبيعة التى تظهر فى الديوان وأظن أن قصيدة (أنا) نشرت بمجلة الرسالة الجديدة تحت عنوان « الوهم الأبدى » وحذف الشاعر منها هذا البيت :

وهم يساور ملحدا فيردعه

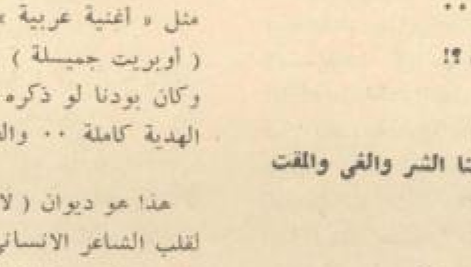
ويخافه من كان مثل مؤمنا

وكان الأجدر به أن ينشر فى القصيدة التى كثر التساؤل فيها .. هل الشاعر غاية أم وسيلة .. ؟ أم أنه لا يعرف كنهه ؟!

بقى علينا أن نشير الى قدرة الشاعر فى صياغة الأناشيد الثورية ، وتحرره من الوزن التقليدى فى مثل « أغنية عربية » كما نلاحظ دقته وبراعته فى (أوبريت جميلة) الذى ذكر منه بعض المقطوعات وكان بودنا لو ذكره جميعه فى الديوان حتى تكون الهدية كاملة .. والصورة واضحة ناضجة ..

هذا هو ديوان (لا تكذبى) الذى يعتبر صورة لقلب الشاعر الانسانى الكبير ، صورة لكل ما يعتمل فيه من اضطرابات وشكوك وظنون وأحاسيس متباينة .. صورة لعاطفته الحادة وكبريائه الأشم .. وآلامه التى تنغر جراحها فى جسده .

« عبد الرحمن البجاوى »



حديث عن ..

المدارس الأدبية والمذاهب الفنية

بقلم : محمد يوسف القعيد

خطأ وقع فيه مؤرخو الأدب .. وما زالوا حتى الآن يمارسونه رغم خطورته على تاريخ الأدب . وان كان بعض الذين يتصدون لتاريخ الادب ما زالوا يمارسون هذا الخطأ بسخاء فمن الواجب الا نغبن الذين تخلصوا من هذا الخطأ حقهم الطبيعي فى انهم قد ساروا على الدرب الصحيح ..

هذا الخطأ هو (الميكانيكية) فى تاريخ الأدب ووضعه على رفوف معينة ومعروفة فيأتي مؤرخ مثلا ليقول.. ان الفترة المعينة هذه كانت فترة رومانسية ثم تلتها فترة أخرى واقعية وهكذا .. وقد يكون فى هذا التقسيم وضع لكل شيء فى مكانه الطبيعي ولكن فيه الى جانب هذا نوعا من الاستنامة الى أيسر الحلول .. والسلوك الى ما ننشد من اهداف أقصر السبل وهو ثالثا : يقوم على أساس من الفهم الخاطيء لماهية الادب وجوهره .. وكذلك .. وظيفة هذا الأدب فى المجتمع ..

الأدب ـ أيا كانت فنونه ـ تعبير عن الحياة، ومرآة تعكس الواقع .. صحيح ان هذه المرآة لا تعكس الواقع كما هو .. وصحيح ان هذا الواقع يعكس من خلال اديب معين له احساسات معينة وموقف خاص تجاه هذا الواقع .. هذا كله صحيح وصحيح ايضا ان جزئيات الواقع بنفسها لا تصلح لأن تكون عملا فنيا قائما بذاته ولكن رغم هذا فان نقطة الانطلاق لدى الاديب عندما يكتب تكون من واقعه. ومهما بدا بعيدا عن الواقع فيما بعد هذا .. فان نقطة انطلاقه تكون من هذا الواقع ..

والحياة ـ بكل ما فيها من متناقضات ـ لا يكفى مذهب ادبى واحد للتعبير عنها . كل أديب يعبر عن هذه الحياة كما يراها .. ومن هنا كان المذهب الفنى لا تستوعبه كل جوانب الحياة . بينما ـ وهذا هو المهم ـ ان الحياة نفسها تستوعب كل المذاهب الادبية فهى بالنسبة اليها منظورات مختلفة تطل على منظر واحد . ليس هناك ما يسمى بالمدارس الأدبية كما هو معروف ، وهذه المدارس التى قيل لنا عنها انها شغلت عصورا معينة ـ اقول هذه المدارس لم تكن الا منظورات رصدت منها حركة الواقع وهذا معناه .. وجود اكثر من منظار لعصر واحد ... ان ما أقصد اليه هو ان العصر الحضارى الواحد يحتوى بالطبيعة على اكثر من اتجاه .. ادبى .. وهذه الاتجاهات قد تعيش فى سلام مع بعضها البعض كما انه قد يموت القديم كى يحيا الاتجاه الجديد، لكن من المؤكد ان كل عصر من العصور قد احتوى على أكثر من مذهب ادبى واحد وكلها قد تضامنت وتعاونت لتقدم الصورة النهائية لهذا العصر ..

وعندما يقرر ناقد انه كان فى مصر فى الربع الاول من القرن العشرين ثورة رومانسية عارمة ، فهذا التقرير لا يحمل في طياته الحكم بالاعدام على كل

الاعمال الادبية غير الرومانسية ، ومعنى هذا الحكم ببساطة ان اللون الغالب للانتاج الادبي في هذه الفترة هو اللون الرومانسي ومعناه ايضا انه كانت هناك بعض الاتجاهات الادبية الاخرى ٠٠ بجانب هذا الاتجاه الرومانسي ، كل الفارق ان الصوت الرومانسي كان صوتا جماعيا فاكتسب نوعا من التاكيد المذهبي ٠٠ اما الاتجاهات الاخرى ٠٠٠ غير الرومانسية فقد كانت اتجاهات فريدة مما نفي عنها اى وصف مدرسي ٠٠ او شبه مذهبي ٠٠

وكما قلت من قبل اكرر ان المدارس الادبية لا تؤكدها الاصوات الفردية اطلاقا ٠ ان العمل الفردى هنا ينفى القاعدة ولا يؤكدها ٠ ولا بد أن تقوم هذه المذاهب على أساس من الاصداء الجماعية٠٠

والذى أريد ان انتهى اليه من كل هذا هو ان العصر الحضارى الواحد يحتوى دائما ، وهذا طبيعى، بل أكاد اقول حتمى - يحتوى على اكثر من مذهب أدبى واحد ٠٠ ودائما يكون هناك مذهب معين له الجماعية فى الاصوات فيكون هو الغالب ويسرع النقاد كى يسموا هذا العصر عصرا رومانسيا أو واقعيا أو طبيعيا، ولكن هذه التسميات لاتمنع اطلاقا من وجود اصداء أدبية أخرى ٠٠ خلال هذه الفترات٠

كان لا بد من هذه المقدمة لحسم الخلاف الناشب بينى وبين الاستاذ عباس خضر حول مقالى (الاحياء الرومانسى فى أدبنا المعاصر الذى نشرته (الرسالة فى العدد ٦٨) فلقد اختلف معى فى مقاله (ظاهرتان فى دراسة أدبنا الحديث المنشور بالرسالة العدد ٧٢) اختلف معي حول هذه القضية: قررت أن الربع الاول من القرن العشرين قد شهد رومانسية عارمة فى الأدب العربى ،بينما منتصف الربع الثانى قد شهد تيارات واقعية تهب على أدبنا أولا عن طريق الترجمة ثم ثانيا عن طريق التاليف واستشهدت بما استشهدت به من الأعمال الأدبية ، وذهب عباس خضر الى أن الربع الاول من القرن العشرين كان واقعيا صرفا٠٠ ثم ان الاعمال التى استشهدت بها على الهبوب الواقعى على ادبنا ليست واقعية مما دفعه الى دعوة (امثالى) الى الكف عن الكتابة والمزيد من القراءة حتى لا تصدر هذه الاحكام العجيبة ٠٠

لا شيء يثرى الأدب ويغنيه والنقد على وجه الخصوص ٠٠ الا الحوار العقلى القائم على أساس متين من الاحترام المتبادل للآراء بعيدا عن التجريح الشخصى والقائم - وهذا مهم - على نية صادقة بعيدا عن أى هدف تهدف هذه النية الى البحث الصادق والجاد عن الحقيقة وانا بهذا لن أنفذ الوصية التى تفضل الاستاذ عباس خضر مشكورا باسدائها الى والى زملائى من الادباء الجدد بأن نكف عن الكتابة حتى يتم لنا النضج فرغم احترامى العميق لعباس خضر وآرائه أجدنى ازاء هذه النصيحة رافضا لها من جذورها ٠٠ ذلك ان فيها طلبا غريبا ليس من حق طالب ان يطلبه ٠

واعود الى نقطتى الخلاف بينى وبين الاستاذ عباس خضر فاقرر - للمرة الثانية - ان الربع الأول من القرن العشرين قد شهد ثورة رومانسية فى أدبنا ٠ هذه الثورة امتدت من الترجمة الى التاليف وقدمت الى القارىء على أساس من الاصداء الجماعية وعلى أساس ايضا من الاتساع الكامل لفنون الأدب، وعلى أساس ثالث من ان المجتمع كانت له فى هذه الفترة قيم استطيع ان اقول عنها بنوع من الحذر انها كانت رومانسية والعمل الادبى الصادق - كما قررت فى بداية مقالى - مرآة صادقة وامينة لعصره٠ وأعود الى حديث استاذنا احمد حسن الزيات - اطال الله عمره - لأثبت ان المجتمع نفسه كانت له فى هذه الفترة قيم رومانسية. لقد قال عندما سئل لماذا ترجم فرتر قال (تسالنى لماذا ترجمت فرتر والجواب عن هذا السؤال حديث ، والحديث غدا سيكون قصة وليس يعنيك منها اليوم الا ماتجم عنها٠٠ قال جيته يوما لصديقه اكرمان : كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه ان فرتر انما كتبت له خاصة » ويستطرد الاستاذ متحدثا عن نفسه فيقول ٠٠ (وأنا فى سنة ١٩١٩ كنت اجتاز هذا الحين شبابا طريرا حصره الحياء والانقباض وغط التربية وطبيعة المجتمع فى حس مشبوب يتوقد شعورا بالجمال ٠٠ وقلب رغيب يتحرق ظمأ الى الحب ونوازع طماحة ما تنفك تجيش وعواطف سياله ما تكاد تتماسك ، فالطبيعة فى خيالى شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة، وكان فهمى لكل شيء وحكمى على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسته الخيال ٠٠) انظر وحى الرسالة ، المجلد الاول صفحة ٤٤ ٠

واعتقد انه اتضح لنا ان هذا شاب يعيش فى مجتمع له قيم رومانسية بالمعنى العريض لهذه الكلمة وان الصفات التى أوردها الاستاذ الزيات عن نفسه هى صفات الانسان الرومانسى بالدرجة الاولى ... والواقع الذى يرتكز اليه العمل الادبى ما دام هذا الواقع واقعا رومانسيا فليس مستغربا ان ينتج هذا الواقع لنا أدبا رومانسيا ،فالعمل الرومانسى هو نتاج أديب رومانسى يعيش فى مجتمع لـه قيم وعـادات رومانسية .. لم يكن غريبا اذن ان يترجم لنا احمد الزيات آلام فرتر لجيته ورفاييل للامرتين وان يترجم احمد زكى غادة الكاميليا لاسكندر ديماس ، وحافظ ابراهيم يترجم البؤسـاء لهيجو وعلى أدهم يترجم « رينيه » وحسن صـادق يترجم أودلف وقدم لـنا المنفلوطى بول وفرجينى باسم الفضـيلة وماجدولين وفى سبيل التاج .. ولم يكن غريبا ايضا ان نجد اعداد مجلة « المقتطف » غاصة باشعار شيللى وبيرون وكولردج ..

وبعـد هـذا كتب المنفلوطى « العبرات » وكتب محمد حسين هيكل « زينب » وهى أعمال رومانسية مـا فى ذلك شك ، ووجدنا محمـد عبد المعطى الهمشرى وعلى طـه وابراهيم ناجى .. يكتبون اشعارهم الرومانسية . حتى هنا لا يختلف اثنان فى كون الأدب يعيش ثورة رومنسية تؤكدها الاصداء الجماعية ويقوم دليل على اسـتيعابها لاكثر من فن واحد .

وليس معنى هـذا أننى أنكر بداهـة وجـود اعمال واقعية صدرت خلال هذه الفترة ، الذى انكره بالضرورة كون هذه الاعمـال الواقعيـة قد ارتفعت بالفعل الى مسـتوى المذهب الادبى .. لا أنكر ان محمد لطفى جمعه قد دعا الى الواقعية فى عام ١٩٠٦ ولا أنكر ايضا ان عيسى عبيد وشحاته عبيد ومحمد تيمور قد دعوا اليها فيما بين عامى ١٩٢٠ ، ١٩٢٥ ولكن هل ارتفعت هـذه النـداءات حتى وصلت الى مستوى المذهب الادبى الكامل ؟ هل وصلت هـذه النـداءات الفـردية التى قامت على اسـاس من فن واحد هو فن القصة القصيرة والطويلة ، هل وصلت الى مستوى المذاهب الادبية ..؟ وأقول كلا .. لم تصل .. هى اعمال صدرت خلال الربع الاول من القـرن .. ولكنها لم تصـل الى مسـتوى المذهب الادبى ..

ومن نافلة القـول ان اقرر أن كون هـذه الفترة فترة رومانسـية لا يمنع من وجـود بعض المذاهب الادبية الاخرى .. التى لا يرتفع صوتها الى مستوى المذهب .. انا لم اسـقط اذن مرحلة من تاريخنـا الحديث .. ولكننى فقط نظرت الى هذه المرحلة على أساس استيعابها لاكثر من مذهب ادبى واحد وهذا بالطبع ليس جهـلا منى بفترات وتسلسل تاريخنا الحديث ولكنه علم فنى .. بماهية المدارس الادبية والمذاهب الفنية ..

وأنتقل الى نقطة الخلاف الأخرى : فعودة الروح التى يقرر الاستاذ عباس خضر انها تسودها الروح الرومانسية وكذلك بعض اعمال عبد الحليم عبد الله ثم اختلافه معى حول كون اعمـال نجيب محفـوظ التاريخية ليست واقعية ، أجدنى هنـا مضطرا الى تكرار ما سبق أن قلته فى مقال سابق لى : لا ينبغى لناقد أن يتصيد خاصية من خواص الرومانسية فى أى عمل أدبى ما .. ليقـول ان هذا العمـل عمل رومنسى ، ذلك ان الرومانسية كما يقـرر الدكتور غنيمى هلال ـ روح عامة تحل بالعمل الأدبى ... وتسيطر عليه . قد تكون هناك الوان جزئية معينة من النواحى الرومانسية ولكنها لا تدفعنا الى القول بأن هذا العمل رومنسى ..

ولا أحد يختلف معى .. فى ان عودة الروح .. فتح فى الادب العربى الواقع .. انها عمل أدبى .. ارتكز على صورة خلفية من جزئيات واقعنا الحديث .. ووقف على ارض صلبة من هـذا الواقع ... ولست أدرى الى أى الأسس اسـتند الاستاذ خضر عندما قرر انها عمل رومنسى .

ومحمد عبدالحليم عبدالله .. من قال انه رومنسى؟ حكم أطلقه احد النقاد ذات مرة بكل سهولة ثم تبعته بعد ذلك كل العقول .. التى تنام الى الحلول التى وصـل اليها الغير .. عبـد الحليم عبد الله كاتب واقعى يختار شرائحه من مجتمعنا المعاصر .. بعمق وادراك وقوة .. ولا يوجد لديه من الرومانسية الا بعض خصائصها القليلة . التى لا تدفعنا الى وصفه بأنه كاتب رومنسى ..

ونجيب محفوظ .. انا لم أقرر ان اعماله التاريخية (كفاح طيبه – رادوبيس – عبث الأقدار) لم أقرر ان هذه الاعمال واقعية صرفة وانما الذى قررته انه ما لبث ان انصرف عنها واتجه الى واقعنا الحديث محاولا أن يستلهمه ابتداء من (القاهرة الجديدة) . فى اعمال نجيب محفوظ التاريخية لقاء بالواقع لكنه لقاء صنعه الحياد وحكمه التردد تجاه الواقع . ثم ياتى بعد هذا اللقاء المباشر فى (القاهرة الجديدة) .

وان كان الاستاذ عباس خضر – رغم قسوته على – لم يقتنعنى بوجهة نظره فأملى كبير – مع احترامى له – املى كبير فى ان اقنعه بما أرى .. ومن ثم اضم صوته الى صوتى .

تعقيب

ليس بينى وبين الكاتب الفاضل قضية يحتاج حسمها الى ذلك كله .. انما هو خطأ وقع فيه خصومته ، قال فى مقاله الاول : « وما أن أتى الربع الثانى من القرن العشرين حتى انحسر ذلك الموج الرومانسى بعض الشئ، وبدأت تيارات الواقعية تهب على أدبنا » فقلت له : « .. فهذا كلام غير دقيق لان الواقعية – كما رأينا – بدأت فى الربع الأول من القرن لا من الربع الثانى » ودللت على ذلك بوقائع من الانتاج والدعوة . وكنت اود أن ياتى بنصوص من كلامى ويناقشها مناقشة امينة ، ولكنه قولنى ما لم أقل – فى كل ما كتب فى هذا المقال – ورد على تقوله لا على ما كتبته ..

وكنت أود كذلك أن يعمل بما نصحته به، فيتدبر ما يقرأ ويعيه قبل أن يكتب ، ولكنه رفض النصيحة «من جذورها» .. فلست ادرى بعد ماذا أقول له ؟

« عباس خضر »

الوجه الذي ضاع

للشاعر : سعد دعيبس

يوما ستعرفني ، يوما ستلقاني — وسوف تندم يوما حين تلقاني
برغم ان بوجهي الف عاطفة — هوجاء تخنق افراحي واحزاني
برغم ان براكين الاسى حفرت — دروبنا ذات يوم قبر انسان
برغم ان صحارى الياس قد حجبت — فى ذات امسية افراح نيسان

***

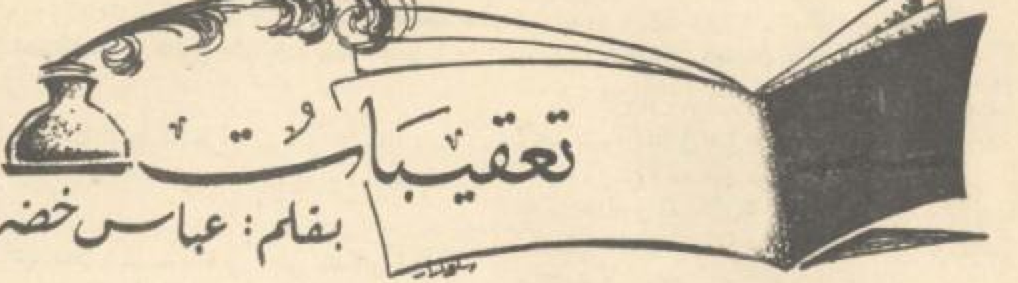
برغم ان ابى يوما هنا صلبت — اشواقه ، وهو يروى زهر بستان
وان خنجر غربى تكفنه — من فوقها رفعوا اكليل رهبان
وان عينيه فى صمت الدجى نزفت — اضواءها فى شموع الراهب الجانى
وان اضلاعه قامت على عمد — واصبحت دير سفاح وقرصان

***

ورفرفت فى الفضاء الرحب ادمعه — على صليب الاسى انجيل غفران
وذوبت فى صفاء الدير اجنحة — بيضاء تحنو على احزان قربان
تهيم فى الليل بحثا فى خرائبه — عن بحة الناى ، عن ايك وغدران
عن لحن مئذنة كانت ترتله — حمائم الأيك ، عن افراح نيسان
عن وشوشات غدير فى شواطئه — اغفت زهور الهوى نشوى بالحان
عن قلب راع ، رمال البيد قد سكبت — ايامه نبع اشواق وتحنان
قد كان يحيا لياليه بقرطبة — يهدهد الحب فى موال رعيان
يذوب الفجر افراحا لمن عصروا — ظلام اعينهم فى ليل شيطان
كانت لياليه قرطاسا ومحبرة — ووحى فكر واشعار وقرآن
وزوجة كان يهواها وطفلته — وبيته الحلو فى احضان بستان

***

وذات يوم هوت من فوق مئذنة — حمامة ذبحتها كف قرصان !
وغال قرطبة البيضاء عاصفة — سوداء ، وانفجرت احقاد بركان !
ونام قلب «هشام» تحت اقبية — للدير ، واختفت افراح انسان
لكن آهاته تسرى معذبة — فى الليل تبحث عن صحب وخلان
عن طفلة ذبحت فى حجر زوجته — عن بحة الناى ، عن موال رعيان
تصيح آ هاته فى الليل يا وطنى — يا ليل قرطبة ، يا نبع احزان
يا صرخة الحزن فى «الوركا» ويا جبلا — للصمت نام على شعرى والحانى
يوما .. ايا وطنى ،يوما ستعرفنى — برغم انى غريق دون شطآن
برغم انى ضياع لا يعانقه — الا ظلام الاسى من تحت جدران
وان عينى فى صمت الدجى نزفت — اضواءها فى شموع الراهب الجانى
وجهى الذى ضاع يوما سوف تعرفه — وعندها سوف تبكى يوم تلقانى
برغم ان بوجهى الف عاصفة — يوما ستعرفنى ، يوما ستلقانى



ما الجديد .. وما القديم .. اللذان يتصارعان .. ؟

يحاول بعض الذين يخوضون المعركة الادبية القائمة ــ ان يجعلوا لها موضوعا عاما ، هو **الصراع بين الجديد والقديم ..**

وانت تعلم انها قامت أصلا على الشعر بين شكليه : المأثور والجديد ، وان ما أشعلها هو مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى التى اختلف عليها الشراح والمؤولون . ودخل المعركة ، أو قل أثارها زملاء لاهم ولا غرض لهم فى الشعر « طوروها » ذلك التطوير ، اذ اعلنوا ورددوا ــ فى خطبهم باجتماع جمعية الادباء وفى كتاباتهم بالصحف والمجلات ــ **ان المعركة فى الحقيقة انما هى بين الجديد والقديم ..** واختلطت الأصوات بكلمات عن الاشتراكية والشعب والمنطلق الى الآفاق التى تتطلع اليها حياتنا الجديدة .. الخ .

ومعنى ذلك ان حاملى اللافتة المكتوب عليها « **جديد » ــ الذين نسميهم « مستشارين » نسبة الى زعيمهم لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الاهرام ــ** هم وحدهم الاشتراكيون المرتبطون بالشعب المنطلقون ... الخ ، وان الآخرين جامدون متخلفون عن الركب المنطلق .. **بل هم ــ كما قيل فى حديث نشر بجريدة الأخبار ــ فاسدون منحرفون يجرى بينهم أو يحدث منهم مثل ماجرى أو حدث فى المجمعات التعاونية الاستهلاكية!**

ولنغض الطرف عن ذلك الذى علت به النبرة فى لحظة ضعف عصبى « سابت فيها الفرامل » ــ **لنعود الى موضوع الجديد والقديم ، لنرى هل هو حقيقة موضوع المعركة .**

ولكى نتبين تلك الحقيقة ينبغى أن نتصور طرفى الخلاف : الجديد والقديم ــ اين ذاك ؟ واين هذا ؟

لابد ان يبرز لنا اولا وجه الشعر فى شكليه المتصارعين ، فوجود هذين الشكلين وان احدهما قديم والآخر جديد ــ حقيقة لا شك فيها ، وهنا لا يمكن انكار الصراع بين جديد وقديم .

وطرفا الصراع هنا مثل الارقام : احد الشكلين يتكون من عدة تفاعيل تكون بحورا معروفة ، والآخر يتكون من تكرار تفعيلة واحدة .

اذن فالصراع بين شكل فى الشعر وآخر واقع لا شك فيه . ولكن اذا تجاوزنا الشعر فماذا نرى؟ هل نجد حقا جديدا يصارع قديما ؟

اقرر اولا ان الصراع بين الجديد والقديم ازلى، فنحن لا ننفيه نفيا مطلقا ، فهو موجود فى كل عصر، ويستطيع الباحث أن يتبينه فى نواح مختلفة . **ولكننا بصدد معركة معينة بين اشخاص معينين ،** بين فريقين يتخاصمان ، أحدهما وهو فريق « المستشارين » يثير حملة على الآخر لأنه يظن أنه يقف فى طريقه الى غايات معينة ، وعلى هذا يطالب « **بالتواجد معه** » كما يعبرون ، والآخر ينظر ويعجب .. **اذ يرى طالبى « التواجد » يحتلون منابر يجهرون منها بالقول ولا يستطيع هو ان يعتلى أحدها لان محتليها من الفريق الأول يسدون الأبواب فى وجهه .** ان ظهر كتاب لأحد من الأول او عرضت مسرحية لآخر تداعى له باقى الفريق بالكتابة والطبل والزمر . وان ظهر انتاج لأحد من الفريق الثانى قوبل اما بالصمت واما بالتجريح، بل ان بعض هذا الفريق يعوق انتاجه ، ولا ارى هنا بدا من ذكر اسم « **على أحمد باكثير** » الذى تغلق دون مسرحياته أبواب المسارح . **والعجيب أن** الفريق الثانى قوبل اما بالصمت واما بالتجريح، بل **وفى اى شىء ؟ لا ادرى ..**

ونعود الى مسالة الصراع بين الجديد والقديم المزعومين فى الدائرة المعينة ، فنسال : **ما الجديد الذى احدثه الفريق الأول ولم يات بمثله الفريق الثانى ؟**

واراني هنا ايضا مضطرا الى ذكر الأسماء لاننا بصدد معركة بين اشخاص ، لا بين قديم وجديد كما اراها .

لناخذ مثلا اسماء الذين قابلوا **الدكتور حاتم** بصفتهم الفريق الأول او الممثلين له ، وقد نشرت هكذا بترتيب الحروف الهجائية :

احمد عباس صالح ــ احمد عبد المعطى حجازى ــ رجاء النقاش ــ رشاد رشدى ــ سعد الدين وهبة ــ صلاح جاهين ــ صلاح عبد الصبور ــ عبد الله الطوخى ــ لطفى الخولى ــ لويس عوض ــ محمد عودة ــ محمود امين العالم .

ونصرف النظر عن ان بعضهم من الزملاء الذين تغلب عليهم الصفة الصحفية وليس لهم انتاج ادبى يذكر ، نعود الى السؤال : **هل انتج احد منهم ادبا جديدا لم ينتج مثله احد من الفريق الثانى ؟**

ونسارع الى استبعاد اسمى صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى ، نظرا الى انهما يمثلان فعلا طرفا فى معركة حقيقية هى معركة الشعر خاصة .

والباقون اما نقاد واما كتاب قصص ومسرحيات . **فاى منهم ينتج الجديد الذى لا ينتجه افراد الفريق الثانى او لم يات بمثله احد من قبله ؟**

وما المقصود بالجديد ؟ اهو ما يتحدث به او ما يتغنى به لويس عوض وامثاله من التعبير عن الانسان المتمزق او ازمة الانسان المعاصر ، كما يقولون ترديدا لكلام غريب عن بيئتنا لا يتفق مع تطلعاتنا ولا يعبر عن انساننا العربى المناضل العامل فى بناء مجتمع جديد ؟ اهو تصيد بعض ما يكتب عندنا من اشباه ذلك والطرب له والشطط فى تفسيره والانحراف بتوجيهه وتشجيعه على البعد من بيئتنا ومعاكسة قيمنا ومثلنا من تليد نعتز به وطريف نجد فى اكتسابه ؟

ام هو التعبير عن اشتراكيتنا الجديدة وثورتنا المتجددة واستهداف تعميقها وتقدمها ؟

اذا كان الأول كما يداب عليه فريق منهم فليذوبوه فى الماء او « الويسكى » وليهنئوا بشربه ، على ان يعفونا من الهذر والهذيان والعربدة التى تعقبه .

واذا كان الثانى ، كما يردده فريق آخر منهم وكما كتبوه فعلا فى هذه (الهيصة) فالجميع متفق عليه ، وليس لأحد من « المستشارين » سبق فيه او ما يفضلون به على الآخرين فى مضماره ، بل اننا نستطيع القول بانهم متخلفون فيه عمن يزعمونهم « قدماء »

فما جديدهم الذى به يصارعون قديما موهوما او مزعوما ؟

هل هو فى المضمون ام فى الشكل ؟

من منهم ارتبط بالشعب ، كما يدعون ، وعبر عن الاشتراكية الجديدة والثورية المتجددة ؟

هذه منابرهم فى الجرائد والمجلات الكبرى .. جرائد الشعب ومجلاته .. التى تيسر لهم الترف والبعد عن الشعب .. **ماذا فى كتابتهم بها غير ما يدبر فى «المستشارية» من محاباة افراد «الشلل» وتجريح الآخرين او اهمالهم** ، وماذا فيها من جهد صادق فى تقييم الأعمال الأدبية المتجددة التى ينتجها غيرهم ؟

باختصار .. ماذا فيها مما يدل على الارتباط بالشعب والتعبير عن كفاحه واهدافه غير الصراخ والادعاء الأجوف .. وغير الاشادة باللامنتمى والمتمزق والانسان المعاصر المتأزم عند « بكت » وبقية « الخواجات » المتمزقين .. ؟

اذا كان عند المستشارين جديد غير « **التفعيلة** » فليدلونى عليه .

او فليقولوا بصراحة انهم يتخذون « التفعيلة » مطية يقفزون من ظهرها الى دعاوى عريضة كالصراع بين الجديد والقديم .. او الى اغراض اخرى ليست من اهتمامات الشعب الذى يدفع اليهم مرتباتهم الكبيرة فى جرائده ومجلاته الكبيرة .

هل نصدقهم بعد فى ادعائهم ان المسالة ليست مسالة الشعر ومذكرة لجنة الشعر وشكل الشعر ومجلة الشعر ، وانما هى الصراع بين الجديد والقديم والارتباط بالشعب و ... و ...

ام نقول لهم كما يقول الشعب ؟

لا ، قديمة !

الكشكول

● صدر العدد الاول من الزميلة مجلة «الفنون الشعبية» فى الاسبوع الماضى ، حافلا بابحاث ودراسات قيمة فى المأثورات الشعبية ، ومقدما بافتتاحية مضيئة للدكتور محمد عبد القادر حاتم ، والمجلة على مستوى رفيع مضمونا وشكلا ، وهى أول مجلة فى حياتنا الثقافية تعنى بالادب والفن الشعبيين وتجعل لهما اعتبارا اكاديميا خاصا ، وفى حديث مع الزميل الدكتور عبد الحميد يونس رئيس تحريرها افضيت اليه بما أراه من وجوب نشر بعض المأثور من الادب الشعبى وما يكتبه المعاصرون متطورا ومستوحى منه ، فقال ان هذا فى اهتمامه وسيعنى به فى الاعداد القادمة .

● نشرت « اخبار اليوم » ان الدكتور لويس عوض والسيدة بنت الشاطئ **التقيا اخيرا بالدكتور طه حسين باعتباره رئيسا لجمعية الادباء** وقدما له مذكرة تتضمن آراءهم ومعها ثلاثة خطابات احدها من **الاستاذ احمد بهاء الدين** يتضمن استقالته من مجلس الادارة ويقول فيه : **اعتقد ان الوقت قد حان لاجراء انتخابات جديدة لاختيار مجلس ادارة جديد .**

وبهذه المناسبة أذكر ما حدث فى اجتماع الجمعية العامة فى العام الماضى من مطالبة لويس عوض باجراء انتخاب مجلس ادارة جديد ، ومناقشته فى ذلك مع بعض الأعضاء ، وقوله مبررا طلبه امام نحو مائة من الأعضاء الذين حضروا الاجتماع : مع تقديرى للأستاذ أحمد بهاء الدين كصحفى كبير فانى لا أراه أديبا حتى يكون عضوا فى مجلس ادارة جمعية الأدباء .

والآن ... هل تحقق ما أراده لويس عوض من خروج احمد بهاء الدين من زمرة الأدباء .. أم هى احدى الدواهى اللويسية العوضية ؟!

● رفض الاستاذ نجيب محفوظ أن يوقع على مذكرة « المستشاريين » فصدرت تعليمات « المستشارية » نحو فيلم « الطريق » المعد من قصة نجيب محفوظ ، فهوجم بالرسم فى الاهرام وقوبل فى مختلف الصحف والمجلات التى تمتد فيها رقعة الامبراطورية المستشارية ، بالصمت التام على خلاف المعهود .. **والمصيبة أن هذه الرقعة لا تغيب عنها الشمس !! تماما مثل التى كانت .**

● ورفض التوقيع على تلك المذكرة كذلك الاستاذ احسان عبد القدوس وكتب فى العدد الماضى من « روز اليوسف » ينقد « الهيصة المستشارية » **فوضع اسمه فى القائمة السوداء ، وبدت طلائع الهجوم عليه من الجناح الأيسر .**

عباس خضر

أخبار أدبية وفنية

● استاذنت مؤسسة الشرق الادنى فى امريكا الاستاذ الكبير ساطع الحصرى فى ترجمة كتابه (يوم ميسلون) الى الانجليزية ، فاذن لها واوشكت ان تفرغ من الترجمة وقد طلبت من الاستاذ ان يضع للترجمة مقدمة تتناول الاحداث التى تعاقبت على سورية من يوم ميسلون الى يوم الجلاء ، فوضعها بالفرنسية ، والغالب ان تظهر هذه الترجمة فى الاشهر الاولى من السنة المقبلة ١٩٦٥ .

جامعة بغداد تكرم الاستاذ الحصرى

● قررت جامعة بغداد تعيين الاستاذ ابو خلدون ساطع الحصرى استاذا باحثا فى كلية الاداب على الا يتقيد بمكان معين ، وهى الآن بصدد اتخاذ الاجراءات القانونية لهذا التعيين .

● فى تمام الساعة السابعة من مساء السبت الموافق ٢ يناير ١٩٦٥ يقيم المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاعة الكبرى ندوة ادبية موضوعها « ظواهر جديدة فى ادبنا الحديث » يتحدث فيها كل من الاساتذة : ثروت اباظه ، عامر بحيرى ، عباس خضر ، عبده بدوى ، محمد عبد الحليم عبد الله ، وسيلقى كلمة الشبان المسلمين الاستاذ على الجميلاطى .

● يلقى الدكتور يوسف عز الدين الامين العام للمجمع العلمى العراقى محاضرة عن الشعر العراقى فى نادى القصة فى الساعة السابعة من مساء الاربعاء الموافق ٦ يناير ١٩٦٥ .

● هيئة خريجى الجامعات تقيم ندوتها الشعرية الشهرية فى الساعة السابعة من مساء السبت ٢ يناير ١٩٦٥ يشترك فيها من الشاعرات : روحية القلينى ، عفيفى الحصنى نجاة شاور ربيع ، ومن الشعراء عبده بدوى ، احمد عمر هاشم ، الربيع الغزال ، انس داود عامر بحيرى ، قاسم مظهر ، محمود جبر .

● « النيل فى الادب العربى » موضوع المحاضرة التى ستلقيها الدكتورة نعمات احمد فؤاد يوم الثلاثاء القادم فى رابطة الادب الحديث فى تمام الساعة الثامنة ، وسيعلق على المحاضرة الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى .

● تقيم أسرة اللغة العربية بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية محاضرة بعنوان « لماذا كانت القصة اكثر الفنون شيوعا وتاثيرا فى الجماهير » .

● تناقش الجمعية الادبية المصرية فى يوم ٥ يناير ١٩٦٥ تجربة المجلات الادبية . يقدم الندوة فاروق خورشيد ، ويشترك فى المناقشة الاساتذة والدكاترة : عباس خضر ، ثروت اباظه ، عبد القادر القط ، احمد حسين الصاوى وليم الميرى ، عبد الفتاح الديدى .

حول الأدب العربي

بقلم عبده بدوي

المجلات والبناء :

لا شك أن ظهور مجلات وزارة الثقافة ، كان خطوة لا بد منها في حياتنا الثقافية ، وبالرغم من هذا وجدنا حملة ضارية توجه نحوها وقت اعلان ظهورها ، ولقد كان من الغريب أن يتصايح الكثيرون حول هذه المجلات قبل أن تظهر في أيدي القراء ، ثم كان من الأغرب أن تحتضن بعض المجلات في لبنان هذه الحملة ، وأن تستنجد ببعض أصحاب الأقلام المتعاونين معها هنا ، الى حد ان أحدهم كتب في **حوار** باسم زوجته وتعدى موضوعية الحديث الى التشفي في عدد السنين التي بلغها الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد .

ثم حين بدأت هذه المجلات رسالتها على استحياء ، وحين استقرت فيها بعض الأقلام المشبوهة ، وحين كانت تحكمها جميعها قبضة واحدة لم يتحدث أحد عنها .. ولكن حين أعطى لكل رئيس تحرير اختصاصه ، وحين تحرك عدد من الأقلام في مواجهة السموم التي تكمن في الحقل الأدبي ، وحين لم تكتب كلمة الا ووراءها دليل قاطع ، وحين سمح لأكثر من رأى أن يتصارع .. وقف البعض ليتحدث عن المجلات بمرارة ، وذهب الذين كانوا يعتبرونها « مزرعة » من قبل الى ملء ليل القاهرة بالهمس الحاقد ، والرغبات الشريرة .

ان البعض يقول : ان الحملة على المجلات يقصد منها خلق ستار من الدخان ليحجب الذين يتفننون في تدمير البناء الثقافي لهذه الأمة ، ولتفريغ الشخصية العربية المعاصرة من كل مقوماتها ، للتلويح خلال ذلك بالقوميات البائدة ، أو للذوبان في حضارات جديدة ، ولعل الانسان العربي هو الوحيد اليوم الذى يصك في كل قيمة يحتضنها ! ولعل من المتناقضات أن نبني كل شيء في حياتنا ، ثم نأتي للانسان فندمره ثقافيا ، وحضاريا ، ونطالعه في كل لحظة بانه تافه ، وعقيم ، ومنحط !

ولعل ما يعزي الكثيرين أن الذين يقولون بهذا سرعان ما يلتفت لهم القارئ ثم يكتشف أغراضهم المشبوهة ، ولعل أذكى دراسة يمكن أن تكتب في هذا العصر هي دراسة هذه الشخصيات نفسيا واجتماعيا وفكريا .

اننا يجب أن نتخلص من كل ما هو عيب فينا ، ولكن علينا الا نتبع أصوات الذين يصرخون في كل آونة بأن علينا أن نتخلص من كل شيء فينا ، وان علينا أن نقرأ كل كلمة ، ولكن علينا كذلك أن نتعرف على الدوافع التي تصدرها ، والا ننظر الى

الكلمة على أنها نوع من القداسة ، فهناك من الكلمات ما يقطر بالسم ، وما يحيل القارىء الى عدم بارد بليد !

وعلى كل فالمجلات التى تصدر عن وزارة الثقافة تسير فى الغاية التى حددت لها ، ولن تصمت - **كما صمتت من قبل** - حتى لا يتعرض لها أحد بالهجوم ، ولن تتحول الى قبضة واحدة حتى لا يتعرض لها الذين كانت تجرى بين أيديهم ذهبا ، ولن تصبح امتدادا لهذا التيار الذى يصدر من بعض مجلات بيروت ، ولكنها ستظل تعمل دائما من أجل مزيد من بناء الانسان الجديد فى هذا المجتمع الجديد !

الزميلة السادسة

سعد كل المثقفين وهم يتلقون العدد الاول من مجلة الفنون الشعبية برئاسة الدكتور عبد الحميد يونس ، الذى يعتبر أحد ملامحنا الفكرية المشرقة، والذى يثرى حياتنا الفكرية من زمن بعيد بعمق العالم ، وقلم الأديب ، وعظمة الانسان ، والمتتبع لتاريخ عبد الحميد يونس يحس انه أجهد نفسه وحياته وعينيه من أجل الثقافة الجادة المتصلة بشخصية الامة وأعمق اعماقها ، ولعله من القلائل الذين لاتحس بالتفاوت فيما يكتبون ، فهو فى كل مقال وكل كتاب جاد الى حد الصرامة ، وواصل ثمار الفكرة بجذورها ، ومقدم شيئا جديدا للقارىء الذى يطرق عليه مؤلفاته .

وقد قدم مجلته بتعليق وسام على صدر الحضارة العربية ، بعد أن مللنا من سماع تلك النبرة المشبوهة التى تشكك فى كل شىء عربى ، والتى عملت دائما على احداث الشقاق بين أدب الفصحى وأدب المأثورات الشعبية ، فهو يقول لابد لى ، وانا أقدم العدد الاول من مجلة الفنون الشعبية أن أسجل حقيقة على جانب كبير من الاهمية وهى : ادراك العرب الكامل لتراثهم الحضارى ، ولم يعد هذا التراث مقصورا على ما بقى من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، ولم يعد مقصورا على الآثار المادية الشاخصة من النقوش والهياكل والجسور والبنى ، ولكنه يضم الى هذا كله ، ما يصدر عن المواطن العربى العادى من فن شعبى يتوسل بالكلمة والاشارة وتشكيل المادة، وهو فن يحمل من عناصر الثقافة والاصالة ما يجعله أمينا على القيم الانسانية والمثل الاخلاقية ، والخصائص القومية ، وهذا الجانب من التراث العربى فيه من المرونة ما جعله - ولا يزال يجعله - قابلا للتطور والنمو ، مع تطور الحضارة العربية ونموها ، وهو فى الوقت نفسه يرد على أولئك الذين انتقصوا من قدرة العقل العربى ، والارادة العربية تبريرا لاستعلاء عنصرى ، ولذلك كان العمل على احياء التراث الشعبى العربى تبعة قومية وانسانية وعلمية فى وقت واحد .

وهكذا يثبت الدكتور عبد الحميد يونس انه الاستاذ الجامعى الجاد فى كل ما يتناول من قضايا وفى كل ما ينمى من تيارات .. وفى مجلة الفنون الشعبية التى تعتبر كسبا حقيقيا للثقافة فى بلدنا .

فى عيد النصر

فى الندوة التى قدمتها فى جمعية الادباء بمناسبة عيد النصر ، خشيت على الشعر أن يتحول الى ضجيج ومفرقعات وصراخ ، ولكنه تحول الى أغاريد انسانية رقيقة بفضل الشعراء .. عامر بحيرى ، اسماعيل الصيفى ، طاهر الجبلاوى ، فتوح احمد ، روحيه القلينى ، محمد ابراهيم أبو سنه ، محمد الجيار ، د . عفيفى محمود ، عفيفة محمد الحصنى ، محمد العزب ، وفاء وجدى ، محمود الماحى ، البيلى عبد الحميد .

وقد تفضل الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى بالتعليق على الندوة، وكان جميلا من الشاعر كيلانى حسن سند ، أن يقدم نسخة من ديوانه لكل الذين حضروا الندوة .

ومن وحى هذه الايام العظيمة التى عاشتها مصر قدمت هذه القصيدة بعنوان الوصية .

- ١ -

ابنى . . يا من لا تزال لريشة الله الجليله
سحبات خلق اسمر من فوق أهداب ثقيله
ويزيد عن عمر الورود البيض .. أعواما قليله
واحس ان زهاء أغنيتين مثمرتين .. طوله
أعلمت انى قد وهبت لهذه الارض النبيله
سنواتك السبع التى تهتز فى ورق الطفوله
فاسبح على ماس الصباح الى جزائرها الخجوله
وارجع على ذهب الاصيل للهفة الكوخ الهزيله
فببابه وقفت تمد سنيها . . أم نحيله
ومتى رأتك تهللت ، وتراقصت منها الجديله
ويد تشدك نحوها ، ويد لخصلتك الملوله
وبعد صمت اخضر من فوق قريتنا الجميله
فابذر حياتك تلقها قد اصبحت رؤيا ظليله

وصراخ عنقود ، وجفنا فوق جفن في خميله
وقصيدة ذهبيـة تنمو بسـنبلة طويـله
واحفظ سهولك والجبال
حتى اعود من القتـــال !

ـ ٢ ـ

انا يابني ٠٠ زرعت عمري بين لفـات الربا
ويمنحني الدرب الأصم جررت ظل متعبـا
فلقـد حملت اليتم في فجري فصرت محدبا
عـريان البس من جراح الذل ثوبا مرعبـا
ظمآن اجـذب في الدموع الغائرات لأشربا
ارنو الى الاطفال في سني تمشـوا موكبـا
انا بآنيـة السمـاء يقطرون الكوكبـا
وبمـرة تحت العرائس يذبحون المغـربا
او يتبعون فراشـة حمـراء عزت مطلبا
او يجذبون جناح عصـفور فيجرى مغضبـا
حتى تبتنى الحقول فصارت امي والأبا
وكست باوراق الجمال الطفل مني المنكبا
ومشت بصمتي غنوة ! وتنوء ايامي صبـا
فاليوم احمي فجرها ، وغـديرهـا المعشوشبا
والقطن ، والصفصاف ، والقمح الذى قد ذهبا
فاحرص على مهد الظـلال
حتى أعود من القتـال !

ـ ٣ ـ

ابني يا مرح العبير ، وبحة النـاى الشجيه
أنا سائر قبل الندى ، أنا طائر بالبندقيه
فاليك أشجارا تدلت بالنجوم على يديه
واليك بيتا اخضر الأشواق يغمر مقلتيه
في بابه نزل العبير ستارة خجلى ٠٠ حييه
وعلى نوافذه العجوزة تنحنى ذكرى هنيه !
واذا دعيت الى العطاء فكن كريما ذا حميه
انا نضحي بالبنين اذا افتقرنا للضحيه !
وباختـك الصغرى ترفق فهى من حلم بقيه
وهي عنقود رضيع ليس يملأ راحتيـه
ومتى تحط بوردة تحمل طفولتها قويه !
وتطير شوقا كلما قد دق باب في العشيه
لتعود في بطء تجر جناح يائسة شـقيه
فاذا الدموع تساءلت عنى ٠٠ بنظرتها النديه
وانداح صمت ظل يغرق بين شطيه الصبيه
ووددت لو تنجو بها فغرقت في اللجج العتيه
وبثغرها غرق السـؤال
واخذت تصرخ في القتال

فالثـار عنـد الانجليز
الانجليز !

ـ ٤ ـ

ابني ٠٠ يا من تستقر هنـا بجنبي الأيسر
انا قد فتحت على الدجى شباك عطر اخضر
ومن النجوم نسلت زنارا لثوب البيـدر !
أترى سيذكرني اذا زق الحصـاد بمنقر ؟
وتجعـد « الموال » في قلب الظلام الأشـقر
وانساب في بحر الحصـاد الشاحب المتكسر
فتشابكت أيدي الظـلال على الطريق المرمري
في رقصـة معدية هزت جـلال الأعصر !
لكانني تحت الرصاص بمدفعي المتـكبر
أصغى الى لون الغـــلال على الطريق مثرثر
واحس نبض النور في ورق السماء الأسمر
ونشيج عصفور رضيع بين عش دائري !
ودبيب اقدام الزهور على السـياج المزهر
وصراخ اكواب النبيـذ بكرمة لم تعصر
واراك في جفني حلمـا الثغـا لم يكبر
أنا في طريقك لهفة تحسـو خطاك العبقرى
وهنا بميدان القتـال
حقـد يصوب في القتال
حقـــد يدك الانجليز
الانجليز !

ـ ٥ ـ

ابني ٠ ٠ان فاضت دمائى فوق أرضي الغاليـه
فلقد احطت بكل أيامي جبين الحاميـه
بذراعي المقطوع من جسدي ! بعيني الباقيه
وقضيت واسمك لايزال معلقا بجراحيـه
فاذا جرفت لقريتي فوق الدماء العـاريه
فاحفر بازميـل الخلود على ضلوع الداليـه
في قبة الصمت المزقزق تحت هدب الساقيه
قبرا له طول الجراح وعمقها بحيـاتيه
واركز سـلاحي فوقه لأظل حربا غافيـه
فلسوف أبعث للكفاح على الذرا المتداعيه
حيث الربا المتربصات على الطريق القانيه
وعليه فلتترك صبايا الورد تجرى حافيه
ستعيد ايامي هنـا شفة العبير الحانيه
وأعيش عطرا في الحقول ، وقصة في الرابيه
تحكي لأحفادى الصغار ـ وهم عيون ساجيه ـ
كيف انحدرت من التـلال
ورفعت قلبي في القتال
علما على الارض الحبيبه

« عبده بدوى »



فيلم "الطريق"
قصة نجيب محفوظ

بقلم : على شلش صلاح

ليس طريقا ماديا كهذا الذى نغدو فيه ونروح وننتقل فيه من مكان الى مكان ومن بلد الى آخر ، ولكنه طريق معنوى ، طريق نفسى ، طريق حياة ، أو هو هذه الحياة نفسها .

فهو قصة شباب اسمه « **صابر سيد سيد الرحيمى** » نشأ فى أحضان أمه ولم ير له أبا وأخبرته أمه هذه أن أباه قد مات قبل أن يولد ، وكانت امه - واسمها «بسيمة عمران» - تعيش من تجارة محرمة يعاقب عليها القانون وانتهت بها الى السجن خمس سنوات ، فلما أتمت مدة العقوبة وخرجت من السجن لازمها المرض طويلا ، ولما أحست دنو أجلها كشفت لابنها عن سر أخفته عنه طول حياتها وهو أن أباه حى يرزق وانه هرب منها ، وطلبت اليه أن يبحث عن أبيه ، وأعطته صورة له ليهتدى بها فى بحثه ، وأوصته بالا يتوانى عن هذا البحث لأنه سيغنم من وراء أبيه ثروة طائلة ، وهو لابد واجده وزودته بمبلغ من المال يكفيه زمنا غير قصير يكون بعده قد حصل على ثروة أبيه ، ثم تفيض روحها الى بارئها .

ويهيم (صابر) باحثا عن أبيه هنا وهناك ويحمل فى ذلك متاعب جمة دون أن يهتدى اليه ، ثم يشير عليه البعض بأن يبحث عن أبيه فى الاسكندرية ، فقد تسامعوا أنه كان قد سافر اليها لبعض أمره ، ولم يعد ، وعسى أن يكون قد اتخذها مقرا له .

ويمضى الى الاسكندرية وينزل فى لوكاندة اسمها « لوكاندة المحطة » يملكها شيخ فان اسمه « خليل أبو النجا» يقيم بها فى الطابق الأعلى هو وزوجته الشابة الجميلة (كريمة) التى لاتتجاوز العشرين من عمرها الا بقليل !

وكانت تلك الزوجة تعيش مع ذلك الشيخ عيشة (الممرضة) لا عيشة الزوجة حيث كان يفصل بينهما نصف قرن من السنين تجعل كلا منهما فى دنيا غير دنيا صاحبه ، فهى شابة فى نضارة العمر ورونق الصبا لها فى الحياة آمال عراض هيهات أن يحققها لها ذلك الفانى المتداعى الذى لم تبق الأيام منه باقية .

وما ان يقع نظر (صابر) على تلك الشابة حتى يبهره جمالها ويقع فى حبائل حبها ، وتدرك هى منه ذلك بغريزتها الأنثوية ويتلفت اليه قلبها

الظمآن ويقوم بينهما حب عارم ، ويلتقيان خفية كلما واتتهما الظروف ، ويتواعدان على الزواج بعد أن يتخلصا من ذلك الزوج ، ويقرران فيما بينهما أن يصبرا حتى يفارق الحياة بعد زمن لن يطول !

ولكن الزمن يطول وتمتد حياة الرجل، ولا يطيق قلباهما الملتهبان صبرا بعدما احتملا، ويقرر الشاب (صابر) أن يقتل هذا الشيخ ويهوى عليه ليلة وهو نائم بقطعة من الحديد فيقضى عليه ، ويخفى آثار الجريمة : القطعة الحديد والقفاز الذى كان يلبسه حتى لا تعرف بصمات أصابعه - بالقائهما فى البحر .

ويأخذ التحقيق مجراه ويشير الاتهام بادىء ذى بدء الى عامل باللوكاندة فيأخذونه سجينا .

ويكون (صابر) فى خلال ذلك قد اتصل بفتاة أخرى اسمها (الهام) تعمل موظفة فى احدى الصحف تعرف اليها عندما كان يتردد على تلك الصحيفة باحثا عن أبيه معلنا عن صفاته وسماته فى الصحيفة طالبا أن يهديه اليه من يعرف عنوانه، وتنمو العلاقة بينهما نموا سريعا جدا ويلتقيان بين الحين والآخر ، ويتوزع هو بينها وبين عشيقته الأخرى زوجة الشيخ القتيل .

ويستمر التحقيق وتضيق حلقاته وهو يشير رويدا رويدا الى «صابر» وكلما ضاق الخناق عليه اعتقد أن هذه العشيقة - كريمة - هى سبب تلك الكارثة التى تكاد تودى به ، وفى لحظة من لحظات جنونه يهم بها فيقتلها هى الأخرى ، ويمضى بعد ذلك شاردا لا يعرف وجهة محددة ، ويرد ذكر عشيقته الأخرى فى التحقيق فتستدعيها النيابة ، وتطلب اليها أن تدلها على عنوانه فلا تجيبها بشىء وتمضى وراءه هنا وهناك فتجده هائما بين المقابر ، وتذكر له أنها قد اهتدت الى عنوان أبيه فيهتاج لرؤيتها ويقرر انه صار فى غير حاجة الى هذا الاب وانه سيعتمد فى الحياة على نفسه دون غيرها ويمزق صورة أبيه فى هياج يشبه الجنون .

ويمضى التحقيق فى طريقه حتى ينتهى بادانته واعدامه .

هذا هو **(الطريق)** الذى جعلوه فيلما كاملا ..

موضوع فى غاية البساطة يكاد يكون لا موضوع ! أحداث لا تذكر ، خالية من العقدة ، أو هى على الأصح «تابلوهات» يلى بعضها بعضا دون تماسك أو ترابط حتى ليمكن أن يعزل بين بعضها والبعض وان يخلع الواحد منها بعد الآخر دون أن تحس بنبوة أو تسمع صوت انكسار .

ذلك لأن كاتب « السيناريو » لم يكتبه بلغة السينما العميقة المليئة بالحياة والمعنى المتحركة مع الحوادث ، ولم يجعل لها ذلك «المحور» الذى تلتف به الحوادث وتدور حوله من أول الفيلم الى آخره وهو ثابت صامد يشدك اليه باستمرار ، فلم نكن ونحن نشاهده نحس أننا نرى فيلما وانما كان احساسنا اننا نسمع (حدوته) صغيرة حشرت فيها بعض الحوادث حشرا لتعطيها جسما اكبر وتزيد من ضخامتها !

فمثلا الرقص الذى رقصته (كريمة) - شادية - ماذا أريد به سوى استثارة الغرائز ؟ ان كان قد أريد به ابراز معنى أن هذا الزوج الشيخ لم يكن اهلا لها وانها حتى برقصها هذا لم تستثره فتركها ترقص ونام ، ان كان هذا ما أريد به فان هذا المعنى كان بارزا جدا لا يحتاج الى زيادة فى الايضاح فوق أنه معنى غير كريم ومما لايجوز عرضه .

ومثلا : ذلك اللقاء المتكرر الذى يتخذ شكلا واحدا وصورة واحدة بين العشيقتين ما معناه ؟ ان لقاء واحدا مع كل منهما أو اثنين كان كافيا للدلالة على المعنى المطلوب ، أما ان يتكرر دائما وباستمرار دون جديد فليس الا لملء الزمن .

ومثلا : مشاهد بحث (صابر) عن أبيه ، فقد طالت وتكررت حتى صارت كالمترادفات اللغوية فى عصر بديع الزمان الهمذانى .

وهكذا .. وهكذا .. هذا الى أن الضوء كان سيئا للغاية ، وكان لايعرف أين يتركز ؟ فكان يجافى مواضع التركيز ويذهب الى أماكن ليست بذات بال .. والى ابراز صورة القتيل وهو يعوم فى بركة من الدماء وهذا مما لايجوز عرضه ، وهو أمر يعرفه المبتدئون فى السينما والمسرح .. والى أن (صابر) - رشدى أباظه - لم ينفعل اطلاقا من

هول المفاجأة التي أخبرته بها أمه وهو أن أباه حي لم يمت وكأنه كان على علم بذلك من قبل : ٠٠ والى أن «خليل أبو النجا» حسن البارودي ــ كان مبالغا في أدائه مبالغة أفسدت عليه أمره وكانت شهوته في شد الجمهور اليه بارزة جدا٠٠ والى أن الصوت كانت تتخلله اضطرابات واضحة تعطل السماع الجيد ٠٠ والى أن بعضه كان أكثر ارتفاعا وقوة مما يجب مثل « طرقعة » شادية وهي تمشي ، وبعضه كان خافتا ضعيفا أكثر مما يجب مثل أغلب كلام «الهام» ، سعاد حسني ٠

وعلى العموم فقد كان هذا الفيلم دون ما نتوقع ودون ما كان ينبغي أن ينال من عناية واهتمام ولا ندري سببا يغفر كل هذا الاهمال ٠

نظرات

● ارجو إن يؤمن رجال التليفزيون بوعي جمهورنا ودقة ملاحظته لما يعرضون عليه ، وانه ــ على اختلاف حظوظه من الثقافة ــ يقع بصره على الخطأ ولا تفوته منه شاردة أو واردة ، وانه لا يمكن خداعه بحال من الاحوال ٠

اقول ذلك بمناسبة تمثيلية ذات خمس حلقات عرضت اخيرا باسم «الخائنة والقاتل» . تدور فكرتها حول امرأة ارادت أن تتخلص من زوجها لتحصل على ماله فاتفقت مع قاتل على ان يقوم بقتله ، وجعلت وسيلتها في ذلك ان تقيم علاقة غرامية بينها وبين احد الشبان وتستدعيه الى غرفة نومها ثم تجعل القاتل يخبر زوجها بذلك فيفعل ويهاجم الزوج غرفة النوم فيجد الزوجة مع عشيقها الشاب فيهم بقتله وتدور بينهما معركة يطلق العشيق فيها رصاصتين على الزوج فتخطئانه ، ويكون القاتل قد حضر في تلك اللحظة فيطلق الرصاص على الزوج فيرديه قتيلا ٠

ويكون مفتش المباحث المنوط به بحث هذه القضية هو زوج اخت الشاب العشيق وهو ضابط وصفوه بأنه «مثال» في اداء واجبه فيهم بالقبض على شقيق زوجته ولكنه يضعف وتخونه بداءة ثم يعود فيطلق زوجته لانها تحرضه على الاخلال بواجبه وعدم القبض على اخيها . ولكنه بعد أن يعلم الحقيقة ــ من الاعترافات التي اعترفت بها الزوجة الخائنة له في لحظة الاحتضار ــ وهي ان الرصاصات التي قتلت الزوج ليست رصاصات ذلك الشاب وانما هي رصاصات القاتل الحقيقي ــ يبكي ويندم على مجرد تفكيره في القبض على شقيق زوجته ، ويعيد تلك الزوجة الى عصمته ٠

تلك هي فكرة التمثيلية ونحن لانفهم كيف يفعل ذلك الضابط المثال ذلك ؟ فهو ــ اولا ــ لايملك حق الادانة والتبرئة لان ذلك حق «النيابة» التي تولت فعلا تحقيق القضية وكان يجب ان ترفع هذه الاعترافات اليها لترى فيها رأيها ٠

وهو ــ ثانيا ــ وان لم تكن رصاصاته هي القاتلة الا ان ذلك لأمر خارج عن ارادته فجريمته على الاقل هي جريمة « شروع في قتل » ٠٠

وان قيل ــ ثالثا ــ انه كان في حالة دفاع عن النفس ووافقناه على ذلك ، فكيف تنسى جريمته التي كان متلبسا بها وهي وجوده في حجرة نوم الزوجية وما وراء ذلك ؟ كيف ينسى ذلك الضابط «المثال» كل هذا ويبكي ندما لمجرد التفكير في القبض على رجل ضبطوه ــ على الاقل ــ بين احضان زوجة في حجرة نوم زوجيتها ٠

يارجال التليفزيون : ان الجمهور مفتوح العينين وانه يقظ جدا فاحذروه ٠

● الاغاني الجيدة كالخمر الجيدة كلما عتقت حقبة من الزمن ــ كما يقول ابو نواس ــ كانت اقوى وافعل في النفس ووضحت محاسنها وبرز جمالها ٠٠ ومن هذا النوع تلك الاغنية الجديدة التي افتتحت بها ام كلثوم موسمها الغنائي هذا العام واعني بها اغنية « سيرة الحب » التي تقول في مطلعها :

طول عمري بخاف م الحب؛ وسيرةالحب؛ وظلم الحب لكل أصحابه
واعرف‌حكاياتمليانة آهات؛ ودموعوأنين؛ والعاشقين دابوا ماتابوا
طول‌عمري بقول‌لاانا قدالشوق؛ وليالي الشوق ؛ ولا قلبي قدعذابه

تلك الاغنية تبدو حلاوتها كل يوم اكثر وابهى مما كانت في اليوم السابق له ، حلاوتها في التأليف وفي التلحين معا ، فان كلا من المؤلف والملحن قد بلغ الذروة فيها ، مما يجعلنا نرجو ان توليها الاذاعة وان يوليها التليفزيون عناية اكثر مما تحظى بها الآن ٠

ولعل المقطع الباهر البارع فيها هو ذلك الذي امتزج فيه الغناء بوجد المتصوفين ، وتلك اعلى مراحل الهيام والشوق ٠٠ وهو ذلك الذي تقول فيه :

الله يا حبيبي على حبك ٠ ٠ ٠ وهنايا معاك
الله يا حبيبي الله ٠ ٠ ٠ الله الله
ولا دمعة عين جرحت قلبي ولا قولة آه
ما بقولش في حبك غير الله ٠٠٠ الله الله

انا باسم الجمهور نطلب مزيدا من اذاعة هذه الاغنية كما نطلب مزيدا من هذا النوع العفيف الكريم الذي يهز اعماق النفوس ٠

● قال الفتى لأستاذه : ما شر كلمة توصف بها مسرحية ؟

قال الاستاذ : هي ان يقال عنها انها للقراءة فقط وليست للتمثيل ٠

قال الفتى : مثل ماذا ؟

قال الاستاذ : مثل «الراهب» التي كتبها لويس عوض فانها لن ترى خشبة المسرح الا اذا استولى على الدنيا الجنون ٠

قال الفتى ضاحكا : وهل تلك مسرحية حتى تقول فيها ذلك يا استاذي ؟

قال الاستاذ : صدقت ٠٠ وانك لأبعد مني نظرا واصح رأيا !

علي متولي صلاح

نقد الكتب :

مي
أديبة الشرق والعروبة

بقلم : تحسين عبدالحى

يحتفل شعبنا فى هذه الأيام بأعياد نصره على الغزاة .. ويعتبر انتصار شعبنا حصيلة تجارب ومعارك نضالية وبطولية رائعة - خاضتها جماهيرنا على كل المستويات وفي فترات متفاوتة من تاريخ نضالنا الحديث ..

ونود هنا أن نبرز دور المرأة العربية في تاريخ نضال شعبنا ايمانا منا بضرورة العمل المباشر والسريع على خلق جو افضل يستطيع فيه نصف مجتمعنا الذى يتمثل فى المرأة .. أن يتحرك تحركا هادفا لصالح المجتمع ..

ان التقدم الاجتماعي لشعبنا لا يمكن أن يصل الى غايته المقصودة الا اذا تقدمت كل فتاته لتتحمل مسئولياتها التاريخية في خلق القدرات الجديدة وتدعيمها ..

ان التمرس بالأعمال النضالية ضد الاستعمار والتخلف على المستوى الاقليمي والقومي لم يقتصر على عنصر الرجال فقط وانما تعدى ذلك الى قيام المناضلات العربيات في كل مرحلة من مراحل تاريخنا الحديث بالعمل الثورى الشجاع الذى يقصر دائما تفكيرنا عن الاشادة به والعمل على تنميته ..

فمع الدعوة ضد الاحتلال الاجنبي خلال الحركة العرابية سنة ١٨٨٢ - تغنت عائشة التيمورية فى اشعارها ١٨٩٦ بالمرأة العربية . وتعتبر هدى شعراوى من أول المؤسسات للحركة النسائية فى مصر - فقد رفضت هذه السيدة الوطنية العظيمة المساهمة في جهود زوجة المعتمد البريطاني وانشات جمعية مصرية خالصة فى مبرة محمد على التى بدات نشاطها سنة ١٩٠٩ « بمستوصف عين الحياة » .

وعندما هب الشعب المصرى فى ثورة ١٩١٩ قامت النساء مع الرجال في الريف بتقطيع الأسلاك التليفونية وخطوط السكك الحديدية فى الهجمات التى نظمت على أماكن حجز المعتقلين في السجون وتقاسمت النساء مع الرجال آلام حملات الارهاب والابادة بالجملة التى مارستها قوات الاحتلال والتى شملت قرى كثيرة بضربها من الجو .

ولقد حصد رصاص الاستعمار فى مارس سنة ١٩١٩ أرواح - شفيقة محمد ، وفهيمة رياض ، وعائشة عمر ، وحميدة خليل .. هذا عدا أخريات مجهولات ، كما ذكرت السيدة المناضلة هدى شعراوى . وتستمر المقاومة النسائية للاستعمار الى أن تتخذ أول مظهر سياسى لها . ففى ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ عندما خرج الى الوجود أول تنظيم سياسى مستقل للدفاع عن مصالح المرأة تكون « الاتحاد النسائى المصرى » برياسة هدى شعراوى. .. ولا أود هنا أن أدخل في شرح وتقييم دور المرأة العربية فى حركتها الرامية الى اثبات وجودها ولكننى فقط أود أن أربط ولو من قبيل التشبيه المحض بين البطولات الرائعة التى قدمها العنصر النسائى فى حركة نضالنا القومى .

ان بطولة جميلة بوحريد الجزائرية واستشهاد رجاء ابو عماشة فى الأردن برصاص الاستعمار البريطانى وكذلك دور المرأة العربية البطولى فى مقاومة العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ انما يعتبر رصيدا ضخما من التضحية والفداء قدمته المرأة العربية بعظمة وجدارة فائقة لا بد أن نبرزها دائما ونؤكد عليها ..

واذا كان ميثاقنـــا الوطنى قد ذكر « **ان المرأة لا بد ان تتساوى بالرجل ولا بد ان تسقط بقـايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تســتطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة الجديدة** » فانه قد أصبح لزاما علينا ان نحاول بصدق أن نقدم لنصف مجتمعنا الآخر جوا نقيا صالحا يستطعن ان يتنفسن فيه بحرية وجدارة ، متحللين نحن الرجال من عقد السيطرة والتملك التى تحكم معظم تصرفاتنا تجاههـــن ٠٠ ويجب كــذلك بالضرورة أن تحمى اهتمامات المرأة العربية من كل اتجاه يكون من شأنه ربطها فكريا ومعنويا بأســاليب الحضارة الغربية الوافدة عبر مبتكرات الأزياء والتحلل الاخلاقى المدمر لكل مثاليات وقيم المرأة العربية الموروثة ٠٠

ان الحركة النسائية، وقضية المرأةالعربية تحتاج لمزيد من الانتباه والجهود ، لأن ثورتنـا تحتاج الى طاقات تلك الملايين التى تشكل نصف مجتمعنا، ولأن خطة التنميـة الطموحة ، وجهود البعث الاجتماعى تتطلب مزيدا من الجهد الواعى بالنسبة لاثارة المرأة والاستفادة من قدراتها ٠٠

وكتاب اليوم ــ مى ــ أديبة الشرقوالعروبة لمؤلفه الأديب العربى **محمــد عبد الغنى حسن** يقدم لنـا الأديبة العربية من خلال الطبعة الثانية لكتـابه فى صورة مشرقة وضـاءة مخلدا ذكراها طارحا أمـام جيلنا الذى لم يرها صورة رائعة لأديبة رائدة فى فكرها المتفتح نحو الآفاق الجـديدة للعمل العربى الموحد ٠٠

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يتعرض لما يمكن أن نسميه بالصور الخلفية لحياة **مى** الا أنه استطاع أن يقدم لنا الشىء الكثير عنها : فى حيـاتها وصالونها الأدبى وافكارها وصلاتها بمفكرى عصرها وأدبائه..

ولنبدأ مع الأديبة مى منذ نشأتها ٠٠ فاذا عرفنا أنها ولدت فى الناصرة ــ وهى فى فلسطين المحتلة الآن ــ وتنتمى بأصلها الى لبنان وبنشأتها الى مصر ــ استطعنا أن نتمثل فيها نموذجا رائعا لوحدة شعبنا العربى ٠٠ فقد جمعت فى شخصيتها ثلاثة أجزاء غالية من وطننا الكبير وعلى الرغم من أنها كانت تتقن بضع لغات أوربية كتابة وقراءة ، متمكنة منها تمكنا ندر أن يجتمع الا للقليل من الناس فانها لم تتكلم غير العربية ، وكانت تفتخر بعروبتها وتؤكد عليها فى معظم تصرفاتها الذاتية المحضة فى وقت كانت الفرنجة فيه من الأمور المستحبة والمتداولة ٠

وحينما كانت **مى** تمجد روحـانية الشرق وتسبح بمعنوياته لم ترده أن يكون وطنا للتبتل والزهد ، ودارا للرهبنة أو ملجأ للعجزة المتواكلين ، ولكنهـا تريده ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، والا يعتزل فى ركن ركين سابحا فى أحلامه وأوهــامه ، ومتغنيا بأناشــيد مجده القديم ، ومكتفيا بما كان من غير أمل فيما سيكون ٠ ولهـــا فى ذلك عبارة جميلة تقول فيها :

« **لقد أعطى الشرق الغرب اديانا واخلاقا وفلسفة الهية وأنبياء والاها فتلقاها الغرب شاكرا وارتقى بها ٠ افيخجلنا ان ننتفع باختباراته الدنيوية وعلمه، والدنيا دنيا الجميع كما ان الله خالق الجميع** » ٠

ودافعت **مى** عن اللغـة العـربية وأخذت ببلاغة القرآن وسحرتها فصاحته ، والقرآن هو أعلى مثال للســان العربى المبين ٠ لذلك تجدها فى معرض الكلام عن اللغة العربية تبدى اعجابها بفصـاحة القرآن ، وتعزو اسـتقامة الفاظ المسلمين وجمـال منطوقهم وفخامة أسلوبهم الكتابى الى استظهارهم آى الكتاب صغارا واستشهادهم بها كبارا. وكانيعجبها من « باحثة البادية » ، ومن أقلية لبيبة من الكتـاب استعمال الآية القرآنية عند الحاجة فى أسـلوب خاص ، أو محاولة التسامى الى استعمال جمل ذات تفصيل قرآنى وموسيقى قرآنية ٠

وفى سنة١٩١٩ وهىفجر الحركة القومية والنهضة المصرية اعترضت أشعة هذا الفجر المضىء خيـوط من ظلام حاكها جماعة من الذين يرون أن اللغــة العربية صعبة التعلم ، وأن العامية أصــلح للتعبير واقدر على أداء مهمة التخاطب والكتابة من العربية٠ فعارضت مى ذلك التجنى على لغة قومها ، وقالت فى صوت قوى تلوح فى نبراته القوة والاعتزاز بالماضى : « الاصلاح ليس الهدم دواما بل هو فى الغالب تبديل وصقل وتكييف ، اذ ليس من صـالح الأمـة انكار الماضى الزاخر بالمجد الأدبى والحكمة » وقالت بعـد كلام : « أما نبذها ــ تعنى العربية ــ والاستعاضــة عنها باللغة العامية فاعتراف بالعجز والخذلان ٠ لأن اللغة تنتعش بانتعاش الأمة وتجمد بجمودها ٠ »

كانت **مى** ترى فى العـامية خطرا على الفصحى ، ولم تأذن للأولى أن تدخل حرم الثانية وهو مقدس ٠ ولم تجر مع الجارين فى ســبيل مناصرة العامية ، ولم تحرم استعمال العامية فى الشوارع وغيرهـــا مما يسهل معه التخاطب بها لكنها حرمت تسجيلها

في اللغة الراقية خشية ان تفسد عليها جمالهـا وتهذيبها ٠

ولشد ماكانت مي تتألم أشد الألم حين ترى المرأة العربية فى عصرها مهملة منسية ، لا يفكر فيها أحد ، ولا تظهر فى المجتمع كما يظهر الرجال ٠ وكان يحز في نفسها أن ترى الرجال يغلبون المرأة على أمرها ، فينبذونها من المجتمع نبذ النواة ، كأنها كم مهمل ، لا شأن لها ، ولا خطر ٠

وكان كل صوت ترفعه مي فى سبيل تحرير اخوتها كأنه آت من الماضي السحيق يروى قصة الظلم الذى تألب على هذا المخلوق الضعيف ، ويردد صيحات التأبى على الضيم ، تلك الصيحات التى كان لها فى عشرات السنين التالية أثرها الشديد ٠ وطالما أحست مي نفسها هذا الصوت فعبرت عنه أجمل تعبير فى خطاب لها في النادي الشرقي سنة ١٩١٤ حيث تقول :

« اتكلم الآن بحرقة كأني صوت المرأة الصامت منذ أجيال ٠ وتستمعون الى باشفاق كأنكم نفس الرجل المشتتة منذ ابتداء الدهور ٠ النفس الكبيرة المبعثرة تستجمع قواها للاصغاء ، والصوت الخافت الذى لم يتعود الا همس الطاعة وتمتمة التمرد المبهم يرتفع الآن آتيا من بعيد ، من بعيد ، من عمق أعماق الدهور السوداء ! من أقصى أقاصي الخليقة العجيبة ! آتيا من القبور ، من البحار ، من عناصر الحياة جميعا ، صارخا ! أيها الرجل ! لقد أذللتني فكنت ذليلا ، فحررني لتكن حرا ، حررني لتحرر الانسانية» ونادت مي بتعليم المرأة ، ولم تكن فى ندائها الا صدى لتقدم زمانها ، لأن صيحات قاسم أمين ومن جاء بعده من المصلحين لم تذهب هباء ولم تضع سدى ، ومن قولها فى ذلك : « قالوا ان المعارف لم تخلق للمرأة وان العلم يذهب بجمالها وتواضعها ولطفها ، وأنه يجعلها متكبرة جافة محتقرة للعائلة هازئة بالرجل ، وها نحن أولاء نراها اذا تعلمت زادت جمالا وحنانا أكيدا واحتراما للعائلة واجلالا للرجل » ٠

ولم يقتصر اسهام مي فى الحياة الأدبية على ندوتها الأسبوعية أو اشتراكها المستمر فى المناسبات والمحافل الفكرية الأخرى ، بل استطاعت أن تقدم الى قراء العربية ثلاثة عشر كتابا أثرت بهم الفكر العربى بما فيها من جمال وخير ، وبحث ودرس ، وجدة وطرافة ولعل دراساتها العميقة الممتعة ، المملوءة بكثير من التقصى والدقة عن وردة اليازجي ، وعائشة التيمورية ، وباحثة البادية ، ملك حفنى ناصف ، لعل تلك الدراسات التى نشرت فى المقتطف وطبع بعضها مستقلا فى كتاب ، هى مظهر من مظاهر وفاء مي لبنات جنسها ، وحرصها على اظهار فضلهن أينما وجد ٠ وكانت مي لا تألو جهدا فى الدفاع عن حقوق المرأة العربية فتقول فى خطاب لها عن النهضة النسائية :

« انها لنهضة عجيبة تبشر بخير عظيم ، وتنبىء بأن مدنية الأمس العرجاء التى لم تتكىء الا على جنس من الجنسين هى غير مدنية الغد الممتعة بتحقيق الأماني ٠ ليست مدنية الغد مدنية الرجل وحده ، بل هى مدنية الانسانية ٠

وتعددت آراء مي ودراساتها فى مختلف الأمور التى تهم المجتمع فتقول مثلا عن الفقر كظاهرة اجتماعية :

« من المفكرين من يقول بامكان حذف الفقر وملاشاة الألم ٠ لكن ذلك مستحيل وسيظل الفقر موجودا مادام أحد الناس أوسع ثروة من غيره ـ ثم تقول بعد ذلك :

« ولكنى أقول بامكان استئصال الفاقة ، فالفاقة مرض اجتماعي ، وكما تلاشى المرض من جسم الانسان يجب أن تتلاشى الفاقة من جسم المجتمع ٠

وبعد أن قضت حياة حافلة ظلت مضيئة طوال خمسة واربعين عاما بدأت الوحدة والعزلة تتسرب الى الآنسة مي من ناحيتها هى ٠ فقد أحست فراغا كبيرا فى الحياة والأحياء ٠ وقد اعترفت مي سنة ١٩١١ قبل وفاتها بعشرين عاما بكآبتها ٠ وأكدت حينذاك ان الكآبة هى خاتمة شعور الانسان ازاء الجمال والقباحة والخير والشر ، والعدل والظلم ٠

وكان لا بد لهذا التفكير العميق الحزين من مي طوال حياتها أن يفضى الى نتيجة لا بد أن ينتهى اليها ، فهى فتاة مفكرة ، مهمومة ، حساسة ، مرهفة ، مطيلة التفكير فى مفارقات الحياة ، ومتناقضات الكون ٠ وهى لم تؤت موهبة الاحتمال الشديد على مكاره الحياة ، وان ظلت تغالب وتصارع بدافع من كبريائها وشموخ أنفها ، وخاصة بعد ان فقدت والديها ٠

وهكذا كانت بداية الحياة عند مي كآبة وحزنا ، وكانت خاتمتها كآبة وحزنا ، وعاشت فيما بين ذلك قصيدة حزينة مملوءة بنغمات الأسى وزفرات اللهيب ٠

« تحسين عبد الحى »

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



● **عيد النصر :**

مما لا شك فيه أن معركة بورسعيد من أهم المعارك التى حددت بداية الطريق الذى استطعنا أن نسلكه ، كما كشفت عن حقيقة القوى الخارجية التى ناصرتنا من الشعوب المحبة للسلام التى اعتنقت مبادىء « باندونج » ، وممن آمنت بمعنى وحدة معركة الحرية والسلام العالمى .

واللقاء الذى تم فى الأسبوع الماضى بمدينة البطولة بين القائد والأبطال من أهم ما أبرزته صحفنا ، ونوهت عنه مجلاتنا . فقد وقف أمام هؤلاء الأبطال الرئيس جمال يتحدث عن حقيقة النصر فى ذكرى عيد النصر ، حديثا واضحا يتسم بالقوة والصراحة ، معلنا أننا حين نحتفل بالنصر لانقف عند الانتصارات التى حققناها سنة ١٩٥٦ بل لا بد لنا من انتصارات رائعة فى ميدان الانتاج والخدمات على مختلف المستويات والمجالات .

وكشف الرئيس سياستنا الخارجية وهدفها معلنا أننا يجب أن نقابل الشعوب الحرة بمثل ما قابلتنا به أثناء حرب السويس ، وأننا حين نقدم العون لأى شعب ثائر على الاستعمار فنحن فى هذا الموقف انما نستطرد فيما عملناه وما عملته الشعوب الحرة معنا أثناء هذه الحرب .

ومما تناوله الرئيس فى خطابه التطور الكبير لمعنى الديمقراطية الذى أثمر كل هذه المناقشات المفتوحة التى تجرى فى كل مكان سواء فى مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى أو فى الصحافة أو فى مجلس الأمة ، ويقول عن هذه المناقشات انها علامة صحة فى بنائنا الديمقراطى ، كما أكد الرئيس أننا حين نبنى بلدنا يجب ألا ننسى أهدافنا الأخرى .. فى تثبيت راية القومية العربية والوحدة العربية لأن الوحدة هى تحرير لجميع البلاد العربية من الاستعمار .

واذن فمعركة بورسعيد قد منحتنا من القوة والكرامة ما جعلنا نصنع مستقبلنا وفق ما نريد ، بل لم يعد هناك من يستطيع أن يفرض علينا سياسة تخالف ما تمليه علينا عقولنا أولا تنبع من داخلنا .

● **وحدة المثقفين :**

تحدث الاستاذ احسان عبد القدوس فى مجلة « روز اليوسف » عن وحدة المثقفين ، فنفى فى بدء مقاله ما يخيل الى البعض من أن المثقفين يكونون هيئة متماسكة .

وهو يسير فى مقاله مبينا أن مفهوم الثقافة ليس صفة مهنية ، بل يطلق على « من تؤهله ثقافته ليكون لنفسه وعيا خاصا يستطيع أن يحكم به على المسائل العامة » .

ومن هنا كان الخلاف بين المثقفين فى رأيه مظهرا طبيعيا تؤتيه الثقافة والظروف المحيطة بهم ، ومن هنا أيضا كان رأيه أن «المثقفين فى كل أنحاء الأرض يختلفون بعضهم مع بعض ، يحاربون بعضهم بعضا »

وأن الخلاف بينهم أمر طبيعي يتخذ مظهرا صريحا علنيا ٠

ولكن الامر يختلف تماما بالنسبة للمثقفين عندنا، اذ أن خلافهم غير طبيعي ، لانه ، يرفض أن يظهر على السطح ويرفض أن يحدد نفسه تحديدا صريحا ، انما يسرى فى تيارات كثيرة يصطدم بعضها مع بعض فى عنف ٠٠ وبسبب اصطدامها موجات تبدو على السطح٠٠ موجات من البلبلة والحيرة السياسية ،

وبعد أن يوضح الاستاذ احسان أن الخلافات التى يقصدها ، ليست خلافات فى التطبيق ، ولكنها خلافات جذرية ايديولوجية ، يتساءل : هل نتيح لهذه الكتل أن تطفو على السطح ويؤلف كل منها حزبا أو هيئة حتى تواجه بعضها بعضا بصراحة ووضوح ؟

وهو يجيب على ذلك بالنفى قائلا ان ، نظامنا يقوم على الوحدة الشعبية ٠٠ وحدة القوى العاملة ، ولا يتيح مجالا لهذه الانقسامات ، حتى لا يتسع نشاطها فتمزق الأمة كلها وتهدم كل ما بنيناه ، ٠

ويضيف أن هذا الاحتمال الخطير قائم ، وأنه صار يخشاه ، بعد المناقشة الحادة العنيفة التى قامت بين أنصار الشعر القديم والشعر الحديث ثم اتسعت حتى شملت الأدباء كلهم ، وصار الأمر بدلا من أن تستمر المناقشة حتى تأخذ آخر مداها ويصفى الخلاف ، أصبحت تكاد تنتهى باقتراح أن تؤلف كتلة الساخطين هيئة منفصلة تباشر نشاطا منفصلا٠ على انه مما يزيد من خطورة الأمر أن الخلاف ليس قائما بين أفراد هيئة أهلية وهى جمعية الأدباء ، بل انه ، قائم ضد هيئة رسمية هى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ويرى الأستاذ احسان أن هذا الخلاف اذا انتهى الى ، انشاء هيئة مستقلة تضم الساخطين على المجلس الاعلى ، فمعنى هذا أننا ٠٠ قررنا مبدءا خطيرا ، وأصبح من حق كل كتلة متنافرة مع أى هيئة رسمية أن تكون لنفسها كيانا منفصلا ٠

ويمضى بنا الأستاذ احسان فيصور لنا مبلغ الخطورة فى هذه الحلول السريعة بأن كل خلاف حول الآداب والفنون يمكن أن يتعمق بسهولة الى أن يصبح خلافا سياسيا عقائديا ٠

ثم يقترح حل هذه الخلافات بوساطة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى بعد مناقشتها على هذا الأساس مناقشة صريحة ، وهى ، ستنتهى حتما الى وحدة المثقفين، لان هناك احساسا أقوى وأشمل من الخلافات مهما احتدت ومهما تعمقت جذورها وهى الحرص على البناء الضخم الذى بناه لنا الرئيس جمال عبد الناصر ، ٠

● رحلة الى تونس :

وفى نفس هذه المجلة يتحدث الدكتور محمد مندور ، عن رحلة قام بها الى القطر العربى الشقيق تونس ، وقد أوضح الدكتور أن الشعب التونسى على الرغم من محاولات فرنسته استطاع أن يحتفظ باللغة العربية السليمة احتفاظا قويا ، بل ، ان المصطلحات العامية التى تبدو لأول وهلة غريبة عنا نحن المصريين لا نلبث أن نفهمها بمجرد ردها الى أصلها العربى الفصيح ، ٠ ويستدل الدكتور على قوله هذا بأنهم يصفون الشىء بقولهم ، باهى ياسر ، ولسرعتهم فى النطق ، لا ندرك أحيانا معنى هذا الاصطلاح مع انه عربى فصيح ، فهو يعنى ، جميل جدا ، لأن باهى من البهاء و ،ياسر، من اليسر واليسار ٠٠ فالباهى ياسر هو الموفور أو السخى الجمال ، ٠

وينتقل الدكتور ليوضح دور الشعب التونسى وحكومته ازاء مشكلة الازدواج اللغوى وطريقة العلاج التى تتبع من أجل هذه القضية ، فهم ، يركزون جهدهم منذ استقلالهم على أن تكون لهم وحدة ثقافية ، ، فكل مواطن يجب أن يحصل على نصيب من الثقافة الوطنية القومية وعلى نصيب مماثل من الثقافة العالمية ، وبامتزاج هاتين الثقافتين وتفاعلهما فى نفسه ، تنتج عن ذلك ثقافة جديدة أصيلة ، ٠

وفى مجلة ، المجلة ، يتحدث الدكتور مندور عن نشأته وتطور مراحل حياته ، فيذكر من ذلك أنه حينما كان يدرس فى فرنسا حضر اليه الدكتور طه حسين وطلب منه ان يحقق امنية قديمة لمدير الجامعة احمد لطفى السيد وهى ، أن يترجم أحد المصريين الذين درسوا الأدب الفرنسى وأتقنوا لغته ، قصيدة عويصة للشاعر ، الفريد دى فينى ، وهى قصيدة ، بيت الراعى ، التى تجمع بين عمق التفكير الفلسفى وشطحات الروح الرومانسية المجنحة ، ويقول الدكتور انه ترجمها وأهدى الترجمة الى أحمد لطفى السيد فراقته وأرسلها الى مجلة ، الرسالة ، فنشرت فى عدديها الأول والثانى ٠

● شخصية مصر

وفي نفس العدد من « المجلة » يتحدث الدكتور جمال حمدان عن « شخصية مصر » في سلسلة أبحاث متواصلة . وهو في بحثه الثالث يتناول نقطتين هامتين : أولاهما هي الموضع ، والأخرى هي الموقع، ومما يذكره في معرض الحديث عن النقطة الأولى أن « العلاقة بين النيل والانسان المصرى لم تكن علاقة ثابتة عبر التاريخ جامدة ، بل كانت أساسا علاقة نامية متطورة ، بدأت بالعنصر الطبيعي سيد الموقف، وانتهت أخيرا باليد العليا للعنصر الانساني ، فمن زراعة الحياض الى الرى الدائم الى رى السد العالى، رحلة طويلة شاقة تلخص علاقة الصراع المتغيرة بين البيئة والانسان » .

ويوضح الدكتور حمدان أن السد العالى جعل النيل هبة مصر ، وغير قول هيرودوت القديم القائل بأن «مصر هبة النيل»كما أن السد بالنسبة للسكان يعنى تاميما ، كما أنه « يرقى بالنهر الى نوع من التاميم ، فلقد أمم الشعب أضخم مرافقه الطبيعية (النهر) وأخضعها لملكيته الكاملة » .

وينتقل الدكتور الى النقطة الأخرى ليقول : « ان قناة السويس أعادت لموقعنا اعتباره مضاعفا مؤكدا .. وأنها أصبحت أعظم شريان للتجارة الدولية فى العالم برمته، وأصبحت مصر أخطر موقع استراتيجى فى العالم القديم .. وتأكدت مرة أخرى علاقة الرخاء المتبادلة بين مصر وطريق السويس ، وان يكن مع « وقف التنفيذ » في الحقيقة ، لأن مصر لم تكن تملك القناة ولكن منذ الاسترداد لم يعد شك فى خطورة دور الموقع في البناء الاقتصادى المصرى ، فهى تصب الآن أكثر من ٧٠ مليون جنيه من العملات الصعبة توجه كلها وجهة بناءة هى السد » .

وينتهى الدكتور عند هاتين النقطتين الى أن هناك تطورات عالمية واقليمية في عالم البترول ، ولكن مستقبل القناة البترولي وغير البترولي ليس حرجا فى أى معنى .. ثم يضيف : إنه« اذا كانت أمريكا تبحث من الآن عن موضع لقناة جديدة تضاف الى « بنما » لمواجهة الزيادة المنتظرة فى الحركة الدولية، فان قناة السويس بالتوسع أجدر، وموقعنا ليس أقل ضمانا أو رسوخا من موضعنا . والاثنان معا يؤكدان سلامة الأساس الطبيعى لبنائنا البشرى، رغم كل الشبهات والشكوك . وأن « كنانة الله » يمكنها أن تنطلق الى مستقبلها وأهدافها ، مطمئنة الى أنها سيدة نفسها ومالكة أمرها من يمين أو شمال بلا أدنى شك أو قلق ، لأن ما كان ابوه التاريخ وأمه الجغرافيا فهو من صنع الله » .

ومهما يكن من امر فان الدكتور حمدان قدم من المعلومات الهامة فى هذه السلسلة من المقالات ماكشف لنا عن جوانب رائعة من تاريخنا وحضارتنا فى دراسة مستأنية امتازت بالعمق والدقة والشمول .

● هيدجر وفلسفته في الفن :

تناول الدكتور زكريا ابراهيم فى مجلة «العربى» هيدجر » فيلسوف الوجودية الألمانية وبين أنه على الرغم من أن « هيدجر » قد أعلن سخطه مرارا على الوجودية الفرنسية التى عبر عنها جان بول سارتر فانهما كانا يريدان من وراء دراستهما للحقيقة البشرية أن يصلا الى « الحكم على الوجود بما هو موجود » ويناقش الدكتور تطبيق فلسفة هيدجر فى الفن فيبين أنه لم يتجه الى دراسة شخصية الفنان أو عملية الابداع الفنى ، بل انه قد مضى مباشرة الى العمل الفنى محاولا وصفه باعتباره«ظاهرة معاشة » وفى رأى هيدجر أن الفن لا يخرج عن كونه لفظا مفهوما مجردا نشير به الى مجموعة من الوقائع المشخصة الا وهى الاعمال الفنية والفنانون ، ولولا تلك الوقائع المشخصة التى نلتقى بها في عالم الواقع حينما نشهد أعمالا فنية ونلتقى بأفراد من الفنانين لما كان فى وسعنا أن نتحدث عن الفن أصلا » .

وتحدث المقال عن صلة الفن بالحقيقة فبين الدكتور ان « هيدجر » قد وقف عند ذلك وقفة طويلة وخلص الى القول بأن « كل فن انما هو فى جوهره ضرب من الشعر » .. اذ الشعر عنده يرتد الى الأصل الاشتقاقى للكلمة اليونانية بمعنى « الانشاء » أو « الابداع » أو « الخلق » . وعلى هذا فان سائر الفنون من معمار وتصوير وموسيقى ونحت ترتد كلها الى الشعر .

وينتهى الدكتور بأن هذا المنهج الذى اصطنعه هيدجر كان يساير فيه الاتجاهات الحديثة فى علم الجمال ، وهى تلك الاتجاهات التى تركز كل اهتمامها فى العمل الفنى وحده .

محمد العوانى



بعد عودة الرائد ..

بقلم : حلمي محمد القاعود

ايام خوالد .. وليال خالدة .. تلك التي قضاها الرائد العربي للفكر العربي المعاصر الأستاذ احمد حسن الزيات ، قضاها بين جنبات ارض ذات تاريخ ومجد .. اضفت على هذه الأيام والليالي مسحة من الكفاح الذي بداه الرجل منذ زمن بعيد في ميدان الفكر العربي الانسـاني .. وحري بنا ان نسجل فترة الاستشفاء هذه في الصفحات الناصعة البياض لكفاح الرجـل وقدرته في عالم الانسانيات ..

لقد كان من نصر الله له ، ان يذهب طالبا العلاج ، ويعود وقد ازداد النور في عينيه توهجا وتالقا ، يشع على طريق الفكر العربي الاسلامي كما كان يشع من قبل وفي عصر كانت حلكته شديدة القتامة والسواد .

ان اخلاص الرجل للقضية العربية الاسلامية ، اراه وقد انعكس في كل طور من اطوار حياته ، وفي كل مرحلة يمر بها .. وفي نهايتها يكون النصر حليفه ومؤازره .

فبعد كفاح طويل ، في مجلة « الرسالة » كتب عليهـا ان تحتجب تحت الظلال القاتمة للضرائب ، والارهاق المالي ، ولكن يد الاصلاح لم يغلها البخل ، ولم يمسكها الكره ..

.. واعادت الثورة « الرسالة » لتواصل رسالتها في حمل الشعلة الملتهبة .. كفاحا من اجـل العروبة والقومية والدين الاسلامي الحنيف ، وكل تراث العربية الخالد..وفتحت الرسالة صفحاتها لتدون فيها من هذه الروائع ما ينير العقـل ويذكي النفس .. ويخدم القضية العربية .

عاد الرجل بعد ان قضى اياما خالدة ، وليال خالدات .. في ذلك الفردوس « المفقود » الذي كان محطا .. لكل من جاء يطلب العلم والمعرفة والحكمة والطب ... الخ ويتزود بها في ذلك الفردوس من آيات رائعة صممها اصحاب الحضارة العربية على نهج انساني .. فيه العالمية المسالمة المتعاونة الى حياة افضل .. وعيش احسن وارغد .

وان املي لقريب التحقق .. وهو ان يكتب الاستاذ الرائد.. ولا بد ان تكون قد مسته تلك الروح العربية الاسلامية المدفونة التي لاتزال آثارها باقية بين اطلال قرطبة واشبيلية وغرناطة وسرقسطة .. وغيرها ... في ان يدون على صفحات «الرسالة» فصولا ممتعة .. عن ذلك الفردوس المفقود ، الذي فقده اهله بعد ان مزقتهم الفرقة والانحلال ، وانصرفوا الى توافه الأمور والاعمال .. وشغلوا عن ذلك الفردوس الذي افتقدوه شابا يافعا انتفع به قوم كانوا يكنون بين طياتهم الد الخصـام ويتمنون لهم الهلاك والموت الزؤام .

عاد الرجل .. الرائد المفكر .. بعد غيبة كانت طـويلة عن عالمنا نحن .. ولكن من اجل النور لم تكن طويلة ..

عاد الرجل .. ليعزف الحان الخلود للفكر العربي في مجلة « الرسالة » العربية المكافحة .

عاد ليقوم ، ويوجه .. كما قوم ووجه من قبل ، هو وجماعة من خير الصحاب والادباء .. كانوا في مجموعهم ذخرا للعرب .. وتراثا يعتزون به .. فهم خدموه مخلصين متعاونين .. في المحافل والمنتديات ، وفي الصحافة بشتى اشكالها وصورها . ولم يحجموا مرة او يتقاعدوا عن الدفاع من اجل وطنهم وعروبتهم وقـوميتهم ودينهم ، وكان الرجل واحدا منهم حمل العبء الأكبر ، ووضع حياته كلها في ميدان الكفاح الفكري .. فطارد العابث والماجن ، وحمل على العدو الدخيل على الأدب والفكر ، واسمعه يكتب عن الأدب الحـرام فيقول وهو يشير الى ضرورة الأدب في تقـويم الانسان « وهل يماري احد في ان البهيم الذي يساكن الانسان في جسده انما يروضه ويكبحه الأدب القائم على العقل والدين والعلم ، تارة بالفطام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة ، فاذا فسدت طبيعة هذا الأدب فانقلب القيد سوطا يلهب ، والشكيمة مهمازا يحث ، افلت البهيم من ربقته فافترس الانسـان الذي يعيش معه ، وحطم المجتمع الذي يضطرب فيه ، والأدب الذي اطلق هذا البهيم بتملق غرائزه ، وتحريض شهواته سينتهي أمره لا محالة الى ان يصير آفة تنقى وجرثومة تحارب لان في ابن آدم محكمة داخلية تسميها الضمير ، اذا تعطلت حينا ، فلن تتعطل ابد الدهر » .

ان الاستاذ الزيات رائد الادب والفكر قد عاد ليجد الجو الفكرى مشحونا بتلك الترهات والاكاذيب وحملة التشكيك التى ينشرها بعض الادباء والذين انطلقوا من مصر «ام العروبة، وقائدة النضال العربى - انطلقوا بافكارهم الى لبنان ليمارسوا باسم التقدم ، وتحت ستار التحرر انواعا وصنوفا من الادب ضمنوها ٠٠ ادبا حراما٠٠وفكرا كاذبا اقليميا ، وحملة مسعورة للتشكيك فى ابطال وطننا الذى يكد ويسعى فى غير خوف ٠٠ وبالامل الذى يحدوه ليصل الى مرتبة من الرفعة وتصبح « الولايات العربية المتحدة » هى الدولة العظمى فى العالم من حيث الانسانية والتقدم والرخاء ٠

انت عدت يا رائد الفكر وما زالت الطريق بحاجة ماسة الى ان تضمنها قبسا من فكرك وعقلك المستنير ، ولعل الشحنة الكاذبة فى الجو الادبى العربى تبدد تحت وقع كلماتك الصادقة النقية٠٠ وقد قامت الرسالة فى غيبتك وما زالت - تحمل لواء الجهاد ضد الشعوبية العاصرة ٠٠ والاستاذان عبده بدوى وعباس خضر ، قد قاما بجهد مشكور فى هذا الميدان المحفوف بكل المكاره من جانب الآخرين ٠

ان الرسالة ما زالت صاحبة الفضل فى توجيه الفكر العربى الى تراثه وقيمه الغنية ٠٠ وانها لجديرة بالبحث والتحقيق ٠٠ من حيث انها حياة رائد ٠٠ ومعه رواد قاموا بمهمتهم الانسانية نحو وطنهم ٠٠ ولا ادرى لماذا لا يهتم الباحثون بالحقائق الحية ؟ بل ينقبون بعد الوفاة ويكدون فى البحث ؟ ٠٠ ان الرسالة ستحيا دائما وابدا الى ماشاء الله للفكر العربى من ازدهار وتهنئة لصاحبها على عودته وشفائه ٠

ومزيدا من طول العمر المديد السعيد ٠

حلمى محمد القاعود

العقاد والشعر الجديد

بقلم : محمد مصطفى

ظهر منذ بضعة ايام كتاب بعنوان العقاد فى ندواته ٠ وقد جمع نخبة مما قاله فقيد الادب العربى الاستاذ عباس محمود العقاد فى ندواته ، وقد جاء فى هذا الكتاب عن الشعر فى ندوات العقاد قوله :

« اذا خلا الشعر من العروض والقافية لم يصبح شعرا ٠٠٠

اما فى اللغات الاوربية فيقوم الشعر على النغم الموسيقية وسواها من الاقيسة ، فلا داعى لديهم للوزن والقافية ، والشعر الغنائى العربى لا نظير له ٠

ولا توجد عروض فى العالم سوى العروض العربية ٠

وليس فى العالم كله شعر بلغ حد الاتقان الذى بلغه الشعر العربى ٠ ومحاولة وضع تفاعيل فى اية لغة اخرى امر غير ممكن ، لان الاشتقاق لا يوجد الا فى اللغة العربية ٠

والقواعد التى وضعها الخليل غير قابلة للتعديل وان كانت زيدت بتواشيح عليها » ٠

ويقول العقاد عن الشعر الجديد وفكرة التفعيلة الواحدة :

« التفعيلة ليست وزنا وانما هى تدخل فى البحر لتوزن ، وقد يزيد عدد البحور حتى ليبلغ المائتين ٠

واساس الشعر البحر لا التفعيلة ٠

وقد انشا شاعر سورى الة موسيقية لحن عليها البحور وذكر انها تصل الى المائتين ، كذلك السلم الموسيقى ، يخطىء من يحدده باثنى عشر ، لانه يمكن الارتفاع به الى الثلاثين ٠

المهم التناسق بين طبقات النغم » ٠

وسئل العقاد عن الشعر الجديد فقال :

الشعر الحديث لا يقوم على قواعد محددة فهو فى حقيقته نثر فى اسلوب شعرى ولا يستدعى الغاء الشعر الحالى ٠

وهل للشعر الحديث قصائد تحفظ ؟

وانى ليؤسفنى ان المح فى محاولتهم غرضا واضحا هو الهدم ٠

ويقول العقاد : «ان كل فن يسير على قاعدة حتى اللعب ٠٠ والشعر الجديد لا يسير على قاعدة فهو ليس بفن ٠ والتفعيلة الواحدة كالكلمة الواحدة لا قيمة لها الا فى بناء العبارة ٠ وليس فى بناء الشعر الجديد التناسق الذى يتطلبه الشعر » ٠

المسالة اذن ليست مسالة جديد وقديم كما يصورها بعض محررى الصحف ، فالتجديد يجب ان يقوم على اصول وقواعد لا ان يكون تشويها لشعرنا المأثور ٠ ومن عجب ان يلتزم الزجل البحر والقافية ويسير على القاعدة ويخرج الشعر عن كل التزام !

وقد ساير الشعر العربى حركات التجديد فى تاريخ الامة العربية ، وعبر عنها فى مختلف العصور ٠ ومن يقول خلاف ذلك يحكم على امتنا بالجمود والعقم فى تاريخها المديد ٠

وفى ثورتنا الكبرى شارك الشعر فى اطاره المأثور فى سائر المعارك بما لم يتفق للشعر الجديد ٠ ٠

عبر عنا بالاناشيد الوطنية وليس فيها نشيد واحد من الشعر الجديد ٠٠٠

عبر عنا فى معركة الحرية والاستقلال ، عبر عنا فى معركة فلسطين ومعركة بورسعيد ، عبر عن اشتراكيتنا واحوالنا الاجتماعية وكان من اسلحتنا فى سائر المعارك ٠

فلا يتهم الشعر العربى بالتقصير ولا تحمل المسالة على انها معركة بين الجديد والقديم فالتجديد امر مسلم به على الا يكون هدما كما راى العقاد فى دعوة الشعر الجديد ٠

اما حرية الفكر فامر لا يقبل الجدل ٠ ولكن هذه الحرية تنقلب الى نوع من الاسترقاق اذا كانت تتحكم فى القضايا الفنية بما تمليه الاهواء ، وتكون معولا للهدم لا للتجديد ٠

اما مسالة الرفض والرافضين التي يعلنها بضعة من حملة مشاعر الشعر الجديد فقد وفتها الرسالة حقها ، واصبح امرها لا يخفى على احد وهي جديرة منا ومن لجنة الشعر بالبقظة والاهتمام ، وقد تجاوز بعضهم الحد في الدفاع عن الشعر الجديد بدعوى الاشتراكية واذابة الفوارق الفكرية والفنية بين الافراد وهذا لا يجوز ان يكون على حساب الثقافة والفن الرفيع وما ابعد هذه النظرات عن اشتراكيتنا السمحاء .

ردود قصيرة :

تلقت المجلة عددا وفيرا من الدراسات والكلمات ، والرسالة اذ تشكر كل الذين تفضلوا بالكتابة اليها تخص بالذكر اصحاب الكلمات الآتية التي تحتوي على كثير من المجهود :

قصة يوم الميلاد .. بقلم محمود عوض عبد العال .

يتيم يناجي امه .. بقلم بدوى بدوى محمد .

شهر شعبان في التاريخ .. بقلم عبد المنعم البحيري .

رسالة .. بقلم شعيب بن الحاج من المغرب .

صانع الالفاظ .. بقلم رمضان اللواني .

الحرص على اللغة .. بقلم محمد الصغير ابراهيم موسى .

قصة ساعة في الصباح .. بقلم عبد الله العرصار .

الزمان والغربة .. بقلم محمد عبد الواحد حجازى .

اوراق الخريف .. بقلم عبد الحميد قطناني .

تاملات في فن الترجمة .. بقلم حسني سيد لبيب .

بين لقاءين .. بقلم احمد بن صالح رويس من تونس .

حول القول بصلب المسيح .. سامي سيد طه .

دور الاضرحة .. للعقيد مصطفى كامل نصار .

رجل وامراتان .. بقلم عيسى متول .

حول كتاب الدكتور ناصر .. بقلم الغزال حرب .

منطقية العقاد .. بقلم محمد سليمان الشيخ .

تشومبي والاستعمار .. بقلم عزيز الرافعي .

سر الشمس .. بقلم على محمد خير القربي .

مقتطفات من الشعر العربي .. بقلم حسن محمود محمد .

احمد امين .. بقلم صفاء الجوهري .

والى لقاء آخر مع كل ما يصل الى الرسالة .

بين أشجار الكافور

للشاعر : محمود عماد

ماذا رايت عدا الطريق البلقعا
فبسمت ثم وجمت في وقت معا

لا شيء يسترعى به من سالك
عينا ولا منه يراود مسمعا

أم ان جنا وسوست لك دون ان
تجلى على لقم الطريق وتسمعا

بل انها الذكرى جلت لك هاهنا
مرأى تجنبه الخلائق أجمعا

مرأى به حفل الطريق عشية
ثم انطوى خلف السنين واقلعا

ما كان اعجبه شريطا ممتعا
ما لاح عند العرض حتى قطعا

لكنه ما زال يعرض خفية
فاذا مباهجه تثير تفجعا

ماذا على الذكرى المعيدة مامضى
لو أن تعيد به المتاع وترجعا ؟

يا نازع الايام من تقويمها
ماذا صنعت بما لديها أودعا ؟

انا خبانا الزهر في صفحاتها
ليعيش لم نقدر لها أن تنزعا

كم من طريق خلته خلوا يرى
فيه سواك تفرقا وتجمعا !

نمشي على ذكر غلت وبودنا
لو أن تحسسنا ثراها ركعا

ان الوفاء الى المكان وان خلا
بعض الوفاء لمن أقام وودعا

قلنا لعا للعاثرين فليت آيا
ما مضت عثرت وما قلنا لعا

لم يبق ممن عاشها معنا سوى
شجرات كافور تراخت افرعا

ظلت هنا كصوى الطريق تقاوم الأ
نواء فيه والرياح الأربعا

أترى تصفق اذ تصفق فرحة
بوفادتي أو حسرة وتوجعا ؟

انى لأسمع اذ أجوس خلالها
همسا وعى من عهدنا ما قد وعى

في الغسق

قصة بقلم : محمود البدوي

كان يقف في قلب الميدان يبيع الصحف للمارة في حي تكثر فيه الحركة والعمل .. وسكانه على مستوى اجتماعي مرتفع وكثير منهم يتمرغ في النعيم ..

وكان « **عبد العظيم** » يبيع الصحف العربية والافرنجية وعملاؤه من المصريين والاجانب .. ومن النساء الأنيقات .. اللواتي يطلبن مجلات الأزياء المرتفعة الثمن ويدفعن بسخاء ورضى ..

وكان الجميع يعرفونه بصوته الجهوري .. ويحبونه لامانته ونشاطه .. وحسن تصرفه وسرعة تلبيته لطلباتهم .. فما كان يخيب رجاء طالب لصحيفة او مجلة مهما بعد بها الزمن .

وكان في الأربعين من عمره طويلا ممتلىء الجسم قويا ابيض مشربا بحمرة .. وعيناه سوداوان حادتان وفيهما بريق الذكاء وصفاء الطيبة .

واعتاد أن يرتدي السترة والبنطلون قبل ان تخرج البدلة الشعبية الى الوجود ويدعى لها . لانه يعمل في حي افرنجي .. ولانه احس منذ حداثته بان الجلباب يعوقه عن الحركة وهو يريد ان يجري وان يقفز كلما دعت الضرورة الى الجري والقفز ليلحق بالترام والاوتوبيس في شبكة مواصلات رهيبة وفي مدينة كبيرة كلها صراع على الحياة ..

وعلى الرغم من انه يبيع الشيء المقروء من نتاج المطابع .. ولكنه كان اميا لا يقرا ولا يكتب .. ولا ذنب له فيما جناه عليه الفقر ..

وكان بذكائه وفراسته يميز بين المجلات بدقة مذهلة حتى المتشابه منها لا يفوت عليه فالأخبار غير الأهرام والجمهورية والرسالة غير الثقافة .. وآخر ساعة غير المصور .. والسنداي اكسبريس غير السنداي تلغراف .. ونيوز اوف ذى ورلد.. غير البيبل .. والتيمز غير الابزرفر والتمبتو غير الفيجارو ..

والصحيفة الاجنبية التي تبرز في صدرها صورة خروشوف وديجول وتشرشل وجونسون غير الصحيفة التي تبرز صورة كريستين كيلر .. وافا جاردنر .. واليزابيث تيلور وشيرلي ماكلين .

ومع أن عمله دائما في حي قصر النيل فانه يسكن في الامام .. ولانه يسكن بجوار المقابر تولدت لديه عاطفة شديدة نحو الموتى .. عاطفة مجنونة .. فكلما بصر بجنازة مارة في الطريق احس كانما سرى في جسمه سيال كهربائي .. فتراه يهتز وينتفض ويدع ما في يديه وينطلق الى قلب الجنازة .. ثم يتسلل حتى يصل الى النعش .. وينحني بسكون تحت الخشبة ليضعها على عاتقه ويسير مع الرجال .

وهنا يحس براحة كبرى تغمر نفسه وتفيض على قلبه وجسمه فتزداد قوته وتزداد صلابته .

وكان في اعماقه يشعر بانه سيجازى من الله على هذا الصنيع خير جزاء .

واذا كان الميت فقيرا معدما كان يحس بان له من الحسنة ضعف امثالها .. وانه سيجزى الجزاء الاوفى .

وكانما اراد الله ان تضاعف له الحسنات بوجوده في هذا المكان حيث تخرج معظم الجنائز من ميدان التحرير وتسير الى جامع الكخيا .

وعندما تطورت الحياة في المدينة الكبيرة واصبحت العربات تقف بجوار المسجد لنقل الموتى بعد الصلاة الى المقابر .. ابتأس عبد العظيم وشعر بغصة في حلقه .. كانه اخرج من الجنة فجاة ليلقى في النار .

ولكن الموتى الفقراء ظلت جنازتهم تسير الى المقابر . في شارع القلعة بكل ما فيه من طول .. **وعبد العظيم** على عاتقه النعش وفي قلبه الفرحة وعلى وجهه الخشوع .

انه سيحمل يوما على اكتاف الاخرين .. ومنهم من يطلب له الرحمة .. كما يفعل هو الآن .

وكانت الحياة باحساسه مجازا الى دنيا أخرى جميلة .. ولذلك كان قانعا مثلج القلب .. مبتهج المشاعر .

وبعد أن ينتهى من عمله اليومى يشترى العشاء لأسرته ٠٠ ويحمله على صدره حتى يبلغ به البيت ويجلس وسط طفله وزوجته يتعشى معهما ويضاحكهما ، وكان الطفل قد من الله عليه به منذ ثلاث سنوات فقط بعد أن يئس من الانجاب وتصور ان امرأته عاقر .

وهو يعنى ببيته عنايته بعمله ٠ ويدرك أن الوقت الذى يضيعه فى حمل نعش سيعوضه الله عنه فى رزقه اضعافا مضاعفة .

وبرضى من النفس وراحة كان يعيش ويعمل فى العجلة الدوارة ٠

ولأن نصف عملائه من النساء المهذبات الأنيقات فقد تعلم منهن التهذيب والوداعة ...

وكن صبايا جميلات يلبسن احدث الأزياء ٠٠ ويطلبن منه حاجتهن بصوت ناعم عذب كأنه تغريد البلابل

وكان يحمل للبعض منهن المجلات الى بيوتهن ويتلقى منهن الابتسامة المشرقة وكلمة الشكر الرقيقة التى تنفذ الى قلبه .

وكان يعرفهن جميعا بأسمائهن ويعرف ازواجهن واولادهن من كثرة اختلاطه بهن وتعامله معهن .

ومن عشرات السنين كن جميعا أجنبيات ، فلما زحف المصريون الى هذا الحى وسكنوا فيه سر عبد العظيم لأنه يتعامل مع أناس يتكلمون لغته ويفهمون مشاعره واحاسيسه ورأى فى النساء المصريات نفس الأناقة ونفس التهذيب الذى كان يجده فى الأجنبيات وزاده احساسه الوطنى اكراما لهن وتضحية .. فالتى تطلب المجلة ولا تجدها عنده كان يحملها الى بيتها بعد ساعة واحدة ولا يضنيه البحث عنها او تسوقها من غيره دون ربح ما دام يرضى رغبة مشتعلة فى نفسه دائما هى أن يخدم « الزبون » على احسن وجه ٠

وذات مساء جلس فى مقابر « **الخفير** » بعد ان اشترك مع ثلاثة من الرجال فى حمل نعش رجل فقير .. ولم يواره التراب سواهم .

وكان يحس بالرضى .. ولما كان متوضئا فقد رأى أن يجلس بين المقابر يسبح بحمد الله ويستغفر للموتى الى ان تغرب الشمس ليصلى المغرب حاضرا .

ولما غربت الشمس صلى واستغرق فى الصلاة الى ان لف الظلام المقابر وما يحيط بها فى شملته .

وكان السكون عميقا وجو الخريف يغرى بالتأمل فى السماء والأرض باستغراق ٠٠٠

واستفاق من استغراقه على صوت سيارة تنسحب فى هدوء فى طريق ضيق بين المقابر وكانت على مدى أمتار منه .. فبصر بشبحين فى داخلها يتعانقان .. ثم توقفت السيارة وزادت حرارة العناق والقبل .. واستشاط عبد العظيم غيظا .. من مخلوقين يعبثان بحرمة الموتى وقداسة المكان .. وانتصب على قدميه وهو فى اشد حالات الثورة .. واندفع نحو السيارة وفى اثناء ذلك كانت السيارة تدور وتخرج من بين المقابر ولكن قبل ان تدور الى الطريق الرئيسى تمهلت فى سيرها قليلا ٠

وقد اتاحت هذه الحركة البطيئة الفرصة لعبد العظيم ليقترب ويشاهد من بداخلها فاحس بلسعة اذ اتضح له انه يعرف المرأة التى تركب بجوار الشاب فهى سيدة متزوجة وتقيم فى الحى الذى يعمل فيه، وهو يعرف زوجها ، ويحمل اليها المجلات الى الدور الخامس فى شارع « بهلر » ، ويصعد السلالم الى بابها حتى اذا كان المصعد معطلا صعد وتلقى ابتسامتها ولامس بيده الخشنة أناملها الناعمة وهى تعطيه النقود ٠ انها أجمل سيدة مصرية فى الحى ٠٠ لأنها تحمل وجه ملاك وعينين تفيضان عذوبة وطهرا ٠٠ وهى غنية وزوجها ليس مريضا ولا شيخا فلماذا تخونه وتأتى مع عشيقها الى المقابر ولا تراعى حرمة الموت ؟ ! . واحس بالدنيا تدور به وتظلم فى وجهه وبثورة تجتاحه وتقدم نحوها كالمجنون ..

ولكن فى هذه اللحظة كان الشاب قد انطلق بالسيارة فى سرعة مجنونة وظل عبد العظيم يتبعه ببصره بعد ان يئس من اللحاق به ٠

وهنا سمع صوت الفرامل يزعق ويمزق السكون وسمع صرخة حادة .. وتوقفت السيارة .. فجرى نحوها بأقصى سرعة ٠

وعرف ان سيارة الشاب صدمت صبيا والقت به تحت العجلات وأمه هى التى تصرخ ٠ ٠وتجمع نفر من الناس اعترضوا طريق السيارة ٠٠

وفى صمت امسك **عبد العظيم** بتلابيب الشاب الذى كان يقود السيارة والذى كان يجلس بجوار المرأة .. وسحبه الى الخارج .. واخذ يمرغ به التراب .

ولما شعرت المرأة بالخطر ..خرجت من السيارة ونادت عبد العظيم باسمه لما عرفته .. واستغربت انه بعد ان سمع صوتها ورآها عن قرب ازداد وحشية ولم يتوقف ...

وظلت فى مكانها مذهولة ساهدة ٠٠٠

ولما رأت الفاجعة تنقض ٠ ٠والشاب يلفظ آخر انفاسه ٠٠٠ هوت متخاذلة على الأرض ٠٠٠

محمود البدوى



العدد ٧٦
الثمن ٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر